أقدم لك ...

الفلسفة

تأليف

ديف روبنسون وجودى جروفز

ترجمة

إمام عبد الفتاح إمام



DAVE ROBINSON
JODY GROVES

INTRODUCING :

Philosophy

المقدمة

بقلم المترجم

" أقدم لك... هذا الكتاب!"

هذا هو الكتاب الثالث في سلسلة " أقدّم لك... " ، وهو يستهدف تعريف القارئ غير المتخصص بمعنى الفلسفة. لكنه جاء في الواقع. عرضًا لتاريخ الفلسفة الغربية بأسرها منذ نشأتها في بلاد اليونان، في القرن السادس قبل الميلاد، عندما طرح فلاسفة مالطية ما يسميه المؤلفان "بالسؤال الكبير" : من أين جاء هذا العالم. .؟ ومم يتألف؟ وتتعدد الإجابات...

ثم يأتي سقراط، والسوفسطائيون، ليتغير مسار الفلسفة من البحث في الكون إلى مشكلات الإنسان لاسيما في ميداني الأخلاق والسياسة. وتتوالى المذاهب الكبرى: أفلاطون، وأرسطو . . ثم الرواقية والأبيقورية، والفلسفة الاسكولائية في العصر الوسيط ـ مع الإشارة إلى دور العرب في الاحتفاظ بالشعلة بعد أن خيّم على أوربا ظلام دامس. .

ويواصل المؤلفان حديثهما عن رحلة الفكر في عصر النهضة، والعصر الحديث، إلى عصر التنوير، والفلسفة المعاصرة حتى الحداثة، وما بعد الحداثة...

ذلك كله في أسلوب مبسط وسهل لكنه شيق وعميق، حتى لنجد المذاهب الكبرى ـ ديكارت وكانط وهيجل ... إلخ ـ ملّخصة في عبارات موجزة واضحة، تزينها رسوم توضيحية لاتخلو من طرافة . . ! ومن هنا كان هذا الكتاب دعوة إلى القارئ للدخول في هذا العالم الرحب: عالم الفلسفة: .

وإنى لارجو أن أكون ـ بترجمته ـ قد شاركتُ فى دعوة القراء للدخول فى عالم شاقٍّ ووعر، نعم، لكن ممتع حقًا . . !

والله نسأل أن يهدينا جميعًا سبيل الرشاد،

إمام عبد الفتاح إمام

الهرم فى مارس ٢٠٠١

أسـئلـة :

معظم الناس يكـونون عادة مشـغولين جداً، وليس لديهم الوقـت لدراسة ذلك النوع من التفكير الذى يسمى، فى العادة، بالتفكيـر «الفلسفى». ذلك لأن عليهم أن ينفقوا وقتهـم فى الكفـاح من أجل البقـاء، أو أن يعـيشـوا حيـاة روتينية بـلا ضجـر. لكن هناك قلّة ـ فى أحوال نادرة ـ من الأفراد المثيرين المربكين، يجدون لـديهم الوقت ليسألوا أسئلة خدّاعة فى بساطتها لا يبدو أبداً أن لها أجابات بسيطة . مثل :

- ماهى طبيعة الواقع ؟ ماذا تكون عليه الموجودات البشرية فى حقيقتها ؟
- ما هى الصفة الخاصة بالذهن البشرى ، وبالوعى البشرى ؟
- أيمكن أن نكون على يقين من شىء على الإطلاق ؟
- أهناك اختلافات واضحة بين الحجج الصحيحة وغير الصحيحة ؟
- ما هى الحقيقة ؟ وما هو المعنى ؟



ما هى الفلسفة :

قد يبدو أن أسئلة الفلسفة لا ترتبط كثيراً بحياتنا اليومية. غير أن الفلاسفة لا يزالون يبحثون لها عن إجابات مقنعة. وأحياناً يجدونها، وكثيراً ما لا يصلون إليها.



يعتقد بعض الفلاسفة أن الفلسفة لابد لها أن تخرج من الحجاج والنقاش، فى حين يعتقد بعضهم الآخر أنها لايمكن أن تنتج إلا من الاستدلال الاستنباطى.



لكنهم جميعاً يعتقدون أن الفلاسفة ملزمون بتقديم نوع ما من التفسير، والدليل أو البرهان، على أفكارهم. وهذا الإلزام يبين أحد الفروق الواضحة بين الفلسفة والدِّين.

الثيوقراطية[1] :

كان المصريون القدماء بارعين جداً فى الرياضيات، وفى البناء، وهندسة القبور، لكنهم لم يكونوا مشهورين فى عالم الفلسفة تفسيراتهم الدينية للأشياء متقنة ونابضة بالحياة لكنها ليست مقنعة بمصطلحات الفلسفة. كما كان البابليون بالمثل رائعين فى الرياضيات وعلم الفلك.







المجتمعات الثيوقراطية التى تحكمها طوائف الكهنة هى فى العادة ذات فكر ساكن احتكارى. وهى تصر على تفسيرات معتدلة، وتحبط بهمة الأفكار المستقلة غير المتعارف عليها. فمعتقدات اليوم ينبغى دائماً أن تشبه معتقدات الأمس.

---

(١) الحكم الدينى (المترجم).

اليونان :

أما اليونان القديمة فهى التى ابتكرت الفلسفة [١]، لكن لا أحد فى الحقيقة يعرف السبب فقد كانت اليونان أمة تجارية عظيمة سيطرت على معظم شرقى البحر المتوسط، واستعارت الأساطير والتصوف مثلما استعارت فن العمادة والرياضيات من جيرانها. غير أن بعض العلماء والفلاسفة اليونان المزعجين اعتقدوا أنه لابد أن يكون هناك منطق ونظام كامن خلف الأشياء. ولم يكن لديهم الرغبة فى قبول التفسيرات الدينية، ومن أمثال هؤلاء الفلاسفة أكسانوفان (٥٦٠ - ٤٧٨ ق.م.)





وهكذا نجد أن الفلاسفة اليونانيين الأول سعوا إلى إجابات نسميها الآن إجابات «علمية» وليست «دينية».

(١) هذا هو الرأى الذى ذهب إليه جمهرة مؤرخى الفلسفة الغربيين من أرسطو قديماً حتى برتراند رسل حديثاً. وحجتهم أن قدماء المصريين لم يعرفوا الفكر النظرى بل اتجه تفكيرهم فى الأعم الأغلب نحو موضوعات دينية وعملية، وهو رأى مشكوك فيه إلى حد كبير فهناك الكثير من الأفكار الفلسفية التى ظهرت فى حضارة الشرق القديم فإذا كان طاليس أول الفلاسفة قد ذهب إلى أن الماء هو أصل الاشياء جميعاً، فإن هذه الفكرة نفسها سبق أن ظهرت عند المصريين والبابليين. وامتزاج الفكر الشرقى القديم بالفكر الدينى لا ينفى عنهم الاهتمام بالفكر النظرى، فقد حدث هذا الامتزاج فى شتى عصور الإنسانية لاسيما فى العصور الوسطى الأوربية مثلاً. (المترجم).

سؤال ملطية الكبير :

أول الفلاسفة الحقيقيين كانوا من خارج اليونان يعيشون في ملطية ـ وهي مستعمرة تقع الآن على الساحل التركي ـ في القرن السادس قبل الميلاد. وقد طرحوا السؤال الكبير : ما الأصل الذي صُنع منه الواقع ؟ والواقع أنه كان سؤلاً غريباً. فمعظم الناس سوف يجيبون عليه بقولهم أنه مصنوع من أشياء كثيرة مختلفة. لأنه يبدو كذلك. غير أن فلاسفة ملطية رفضوا أن يكون ما نراه هو نفسه بالضرورة ما هو حقيقي.



انكسمندر اعتقد أيضاً أن الأرض تشبه عمود ضخم من الحجر. ونحن لا نعرف الكثير عن هؤلاء العلماء الفلاسفة الأول سوى أن العلم عندهم كان ذهنياً تماماً ـ تقريباً ـ ولم يكن تجريبياً. لكنهم لم يقبلوا قط اجابات تعتمد على تفسيرات تعلو على الطبيعة.

فيثاغورس والرياضة :

فيثاغورس (٥٧١ - ٤٩٦ ق.م.) طرح نفس السؤال الكبير. لكنه أجاب إجابة مختلفة أتمَّ الاختلاف. اعتقد أن الجواب هو الرياضيات. كان فيثاغورس يعيش في جزيرة «ساموسSamos» قبل أن يهاجر مع تلاميذه إلى كروتون Croton في جنوب إيطاليا. وكان نباتياً يعتقد في التناسخ، ويعلن أن أكل الفول خطيئة. ولقد عبد هو وتلاميذه الأعداد والفكر التي صُنع منها العالم. وأن الحقيقة تنكشف على نحو أوضح عن طريق النسب، والمربعات، والمثلثات قائمة الزاوية. والتقدم الذي أحدثه فيثاغورس هو أنه وصل إلى أن الحقائق الرياضية لابد من البرهنة عليها لا أن تقبل فحسب. وتبدو صوفية الأعداد عنده بالنسبة لنا بالغة الغرابة، فهو يعلن أن «العدالة» هي رقم ٤ لأنه عدد مربع؛ وفي النهاية أصيب بصدمة عندما اكتشف الأعداد الصماء مثل «باي Pi»(١) والجذر التربيعي للعدد ٢.



بل أنه أغرق واحداً من تلاميذه اسمه : هيبارس الترنتي، لأنه كشف عن هذه الحقيقة الخطيرة للناس في الخارج (٢). وهذا يدل على أنه لم يكن جميع الفلاسفة واسعي الأفق بصدد نقاش تلاميذهم.

---

(١) باي هو الرمز الذي يمثل النسبة بين طول محيط الدائرة وقطرها وقد سبق أن ذكره ١٤١ , ٣ (المترجم).

(٢) كانت المدرسة الفيثاغورية جماعة شبه مغلقة على نفسها - لاسيما «فريق المنتظمين» الذي يعيشون معاً، ويأكلون معاً، ويحرّم عليهم الملكية الخاصة. كما كانت التعاليم الفيثاغورية «سرية» لايجوز إفشاؤها للناس في الخارج ولقد طرد فيثاغورس بعض التلاميذ من المدرسة لأنهم أذاعوا بعض هذه التعاليم إلى الناس في الخارج (المترجم).

هيراقليطس والعالم المتدفق :

كان هيراقليطس الذى عاش حوالى سنة ٥٠٠ ق.م. أكثر اتساعاً فى قبول كون لا عقلى. وكان يلقب «الربان» لتأكيده أن كل شىء فى العالم يتغير، وفى حالة مستمرة من الصراع ولقد أوضح ذلك بعبارة شهيرة هى :

أنت لا تستطيع
أن تنزل النهر الواحد
مرتين.



ولقد ذهب تلميذه أقراطليوس (٤٠٠ ق.م.) أبعد من ذلك :

أنت لا تستطيع أن تنزل فى النهر
الواحد ولا حتى مرة واحدة.



لكن كثيراً ما يساء فهم هيراقليطس، والواقع أن وجهة نظره عن الكون مترابطة ومتسقة، فالمعرفة التى نتلقاها عن طريق حواسنا ونؤمن بها ـ فى حماقة ـ هى بالضرورة معلومات "بالنسبة للملاحظات".

فالصعود إلى أعلى الجبل والهبوط منه يعتمد على المكان الذى تقف فيه فى لحظة معينة. وهذا هو ما تفعله الجبال.

إذا لم يتغير النهر طوال الوقت، فلن يكون نهراً. لكننا لا نزال ـ مع ذلك ـ نعرف أنه ما هو عليه. وهكذا فإن هيراقليطس يذهب إلى أن المعرفة الحقيقية تأتى من التفكير بالعقل وليس من النظر إلى الأشياء. ويمكن أن ننظر إلى تشديده على التغير السريع على أن مساهمته فى الإجابة عن السؤال الكبير هى أن العالم مصنوع من النار وهى شىء دائم التغير ومع ذلك تظل هى هى نفسها بطريقة فريدة.



بارميندس :

كتب بارميندس الإيلى [1] (٥١٥ ـ ٤٥٠ ق.م.) فى جنوب إيطاليا قصيدة طويلة عن سلطان المنطق والمعرفة ـ [2]. وهو يتفق مع هيراقليطس على أن المعرفة التجريبية هى ذاتية بطريقة لا يوثق بها. وهذا يعنى أنه ليس أمام الموجودات البشرية سوى مصدر واحد للثقة ، هو العقل اذا ما أرادوا اكتشاف أى حقائق دائمة عن العالم.



ولقد استطاع بتطبيق الحجة المنطقية الصارمة أن يصل إلى فكرة مثيرة عن الزمان، فكل ما هو موجود بالفعل هو الحاضر المباشر، والحديث عن الماضى والمستقبل هو مجرد كلام أو حديث ـ ليس له أى وجود حقيقى أو واقعى.

---

(١) نسبة إلى مدينة «آيليا.. Elea» فى جنوب إيطاليا ، وتسمى مدرسته باسم المدرسة الايلية (المترجم)

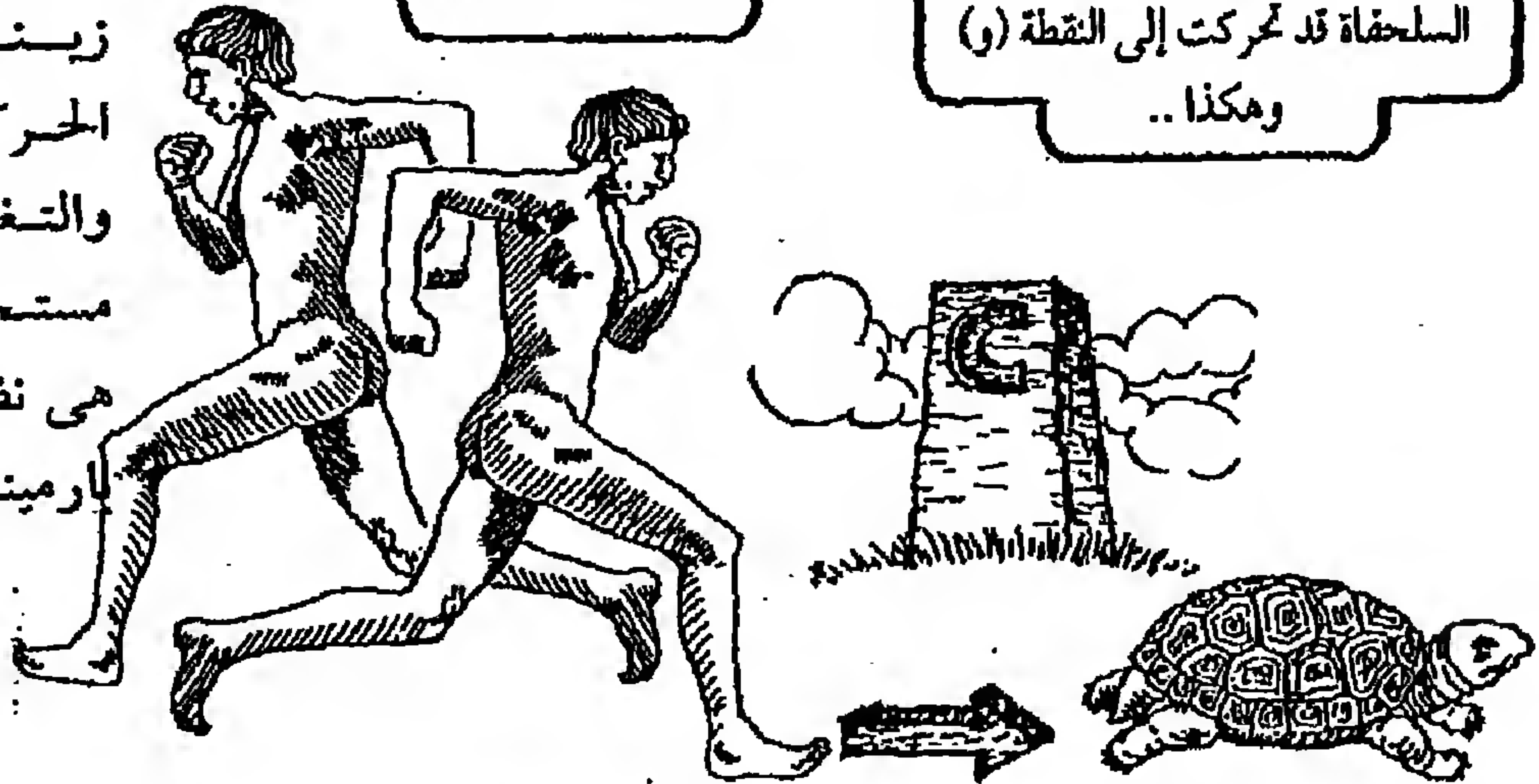
(٢) ترجم هذه القصيدة إلى اللغة العربية الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى فى كتابه «فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط» عيسى البابى الحلبى، عام ١٩٥٤ (المترجم).

مفارقة زينون عن الحركة :

وقد اشتهر تلميذه زينون (٤٩٠ ـ ٤٣٠ ق.م.) بابتكاره للمفارقات التى اكتشفت كثيراً من العلاقات المحيرة الموجودة بين الزمان والمكان. وتدور أشهرها حول السباق بين اخيل والسلحفاة [(١)]. فأخيل ـ بروح رياضية ـ يعطى للسلحفاة أسبقية البداية نظراً لبطئها. غير أن أخيل يكتشف أنه يستحيل أن يلحق بخصمه الحيوان الزاحف.



وهكذا سوف تسبق السلحفاة أخيل باستمرار بقدر ولو ضئيل، لكنه لا يمكن اجتيازه. وهى حجة لاتزال تزعج بعض الفلاسفة[(٢)]، وعلماء الرياضة وعلماء الطبيعة. وهناك أيضاً نقطة لصالح هذه المحيّرات، إذ يذهب زينون إلى أن الحركة الحقيقية والتغير الحقيقى مستحيلان ـ وتلك هى نظرة أستاذه بارمينديس.



(١) اختار «زينون» فى حجته «أخيل والسلحفاة» لأن الأول هو أسرع العدائين عند اليونان، والثانية هى أبطأ الزواحف (المترجم)

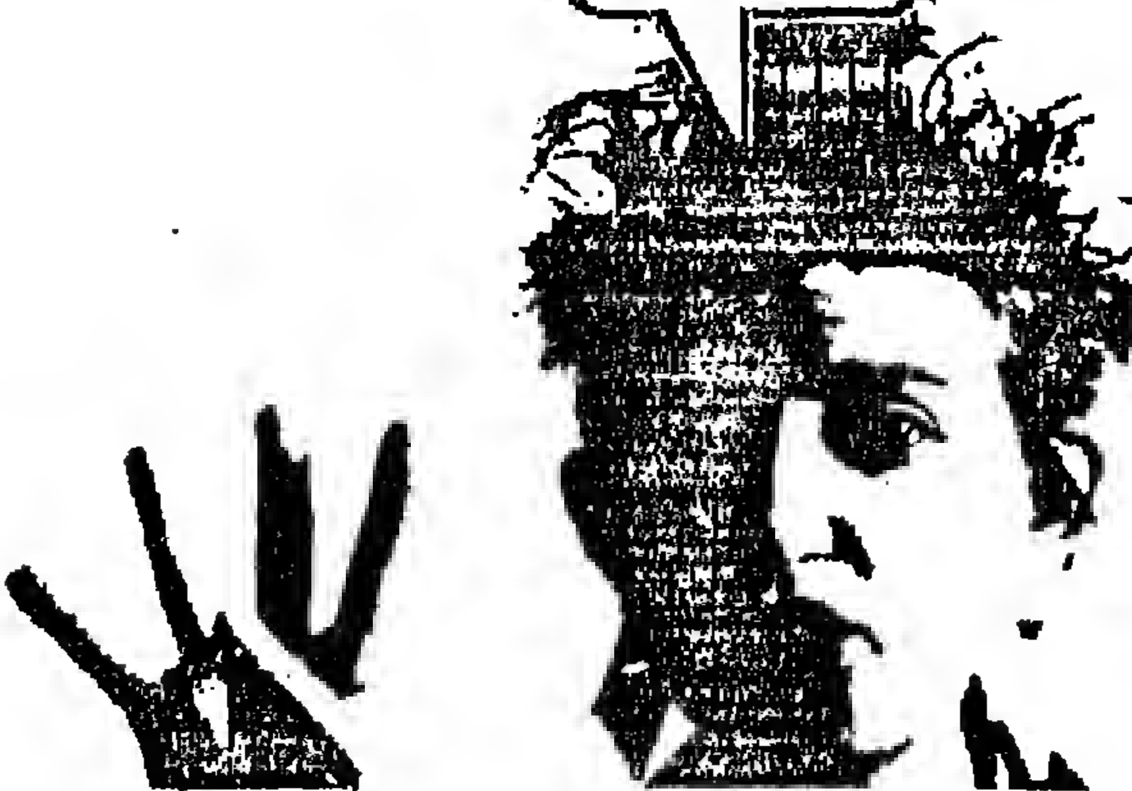
(٢) تقوم الحجة أساساً على إمكان قسمة المكان إلى ما لا نهاية فإذا افترضنا أن خط السير هو من(أ) ـ إلى(ب) فإن ذلك يستلزم قطع نصف المسافة ثم نصف النصف..وهكذا إلى ما لا نهاية، فكيف يمكن قطع المسافة اللامتناهية فى زمن متناه؟ ذلك خلف محال وبالتالى فالحركة مستحيلة، وما يظهر منها ليس سوى وهم (المترجم).

أنبادوقليس والعناصر الأربعة :

كان أنبادوقليس (٤٩٠ ـ ٤٣٠ ق.م.) يعيش فى مستعمرة صقلية اليونانية. وكان طبيباً، صاحب إجابة خاصة عن السؤال الكبير.

يتكون العالم من التراب والهواء، والماء، والنار. وتحكمه قوتان : الحب والكراهية أو الجذب والطرد.

وظلت العناصر الأربعة يُنظر إليها على أنها جواهر أساسية حتى العصر الوسيط.



وكان ادخال هذه القوى الجديدة، محاولة جديدة لتفسير كيف تتجمع المركبات وتفسد. وربما قادته الطبيعيات عنده إلى دورة مستمرة من تناسخ البناء والهدم. ولقد زعم أنه كان بالفعل «صبيًا وفتاة، وغصنًا وطائرًا، وسمكة البحر» قبل أن يصبح أنبادوقليس. ولقد أنهى حياته بأن قفز فى قمة بركان اتينا Etna. وربما فعل ذلك كبرهان على فلسفته.

الـذريـون :

ولقـد شرح لنا «أنكسـاجـوراس» (٥٠٠ ـ ٤٢٨ ق.م.) كيف "أنك مـا تأكل"، فكل شيء عبـارة عن مـزيج. ولـذلك هناك أجـزاء من الدم، واللحم، والـعظم، والأظافـر فى القمح، وذلك ما يفسر كيف يشكل الطعام الجسم البشرى.

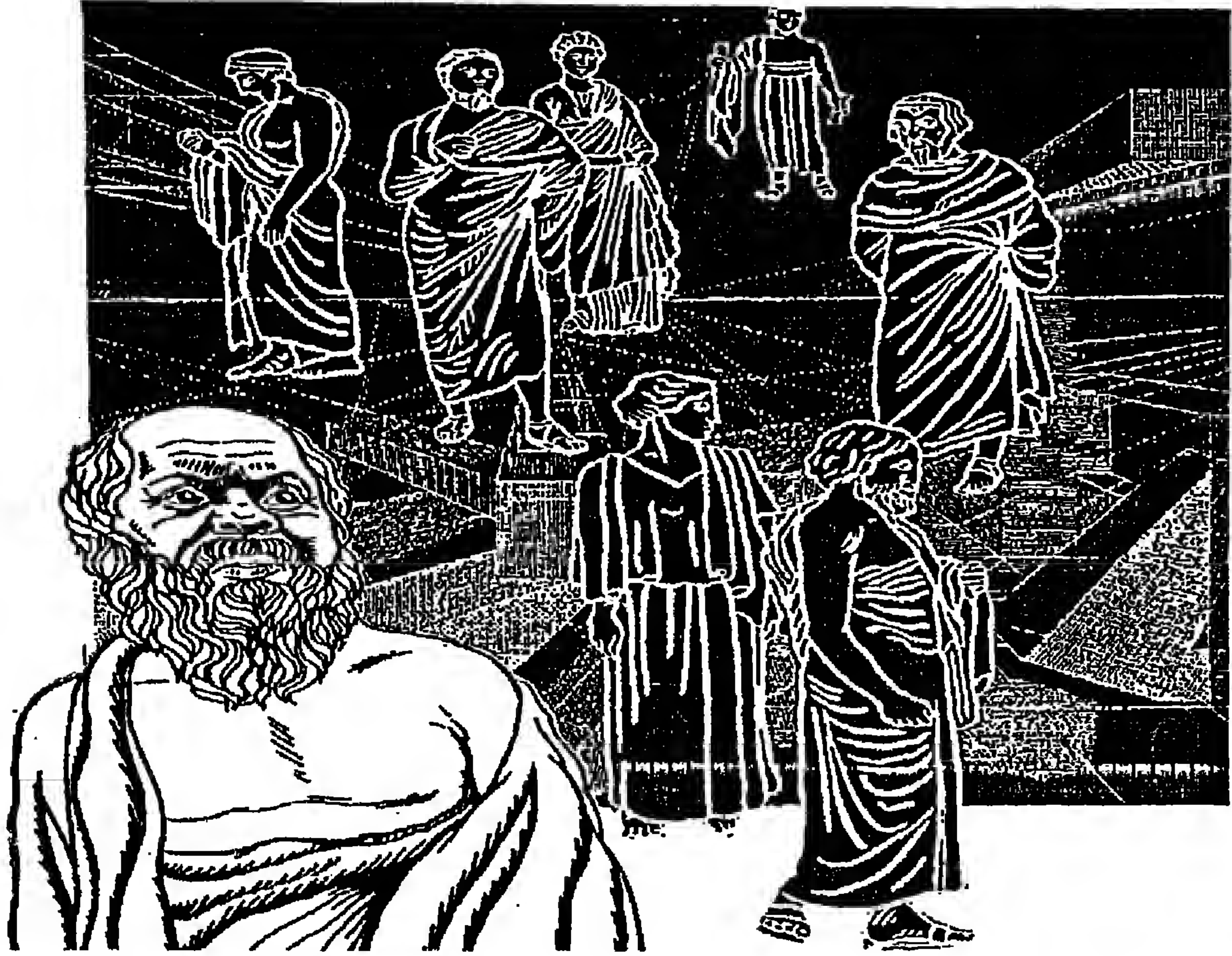




كان ديمقريطس ـ الفيلسوف الذرى (٤٦٠ ـ ٣٧٠ ق.م.) معاصراً لسقراط، واشتهر بآرائه الحـدسيـة عن المادة التى كانت تستبق على نـحو مـذهل، نظريات علماء الذرة فى القـرن العشرين.

أقدّم لك : سقراط :

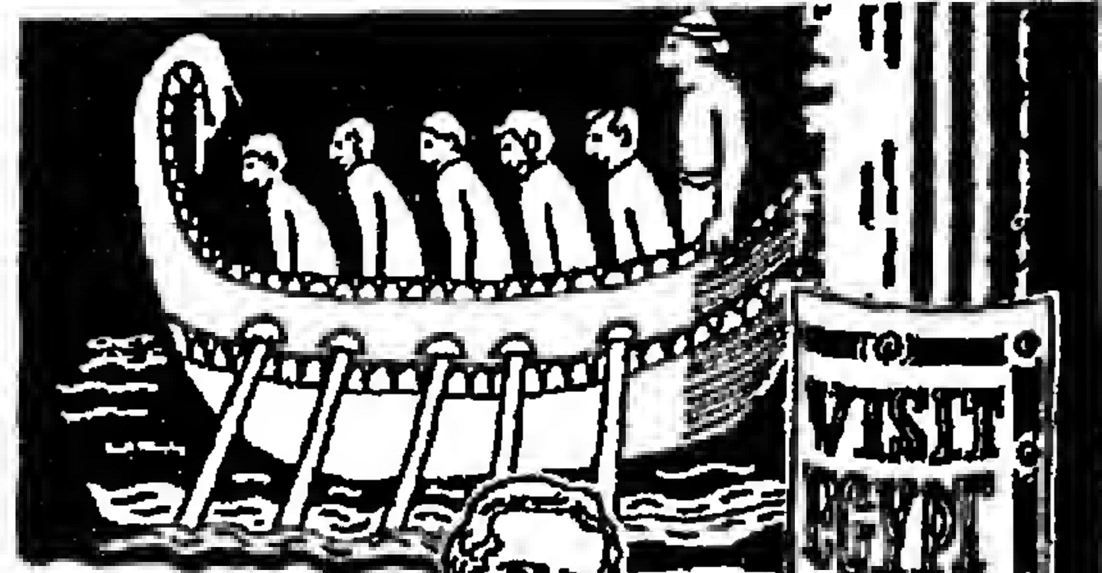
تُعرف جميع هذه النظريات عن الذهن وعن الطبيعة النهائية للعالم باسم النظريات السابقة على سقراط، ومما تجدر ملاحظته بصدد هذه التخمينات والحدوس التشابه القوى بينهما، وبين النظرية العلمية فى القرن العشرين. وقد وصلت إلى هذه المرحلة لا عن طريق استخدام مسرّعات الجزئ بل عن طريق التفكير الشاق فحسب.



عاش سقراط (٤٧٠ ـ ٣٩٩ ق.م.) فى القرن الخامس قبل الميلاد فى أثينا دولة المدينة الصغيرة التى كانت أمبراطورية قوية فى البحر الأبيض. وكان الكثير من الأثينيين يملكون عبيداً مما أعطاهم فسحة من الوقت والفراغ لابتكار أشياء مثل : الدراما، والتاريخ، والفلك، والفلسفة، فاعتقدوا أنهم أعظم أمة متحضرة على ظهر الأرض، وربما كانوا كذلك فعلاً.

النسبية الثقافية :

سافر هيرودوت (٤٨٤ ـ ٤٢٤ ق.م.) المؤرخ إلى أصقاع كثيرة خارج اليونان، ووصل إلى بعض الاكتشافات المثيرة عن معتقدات الشعوب الأخرى وسلوك الناس. ولقد رأى الفلاسفة السوفسطائيون من أمثال بروتاجوراس (٤٩٠ ـ ٤٢٠ ق.م.) المضامين الكاملة لهذه الاكتشافات وأدى به ذلك لأن يطرح بعض الأسئلة المقلقة.





من السهل دائماً أن تعتقد أن معتقداتك «طبيعية» عندما تكون ثقافية فحسب.. ومن ثم فقد غيّر السوفسطائيون موضوع البحث الفلسفى من محاولة الإجابة عن السؤال الكبير إلى أسئلة أخرى مختلفة عن الموجودات البشرية ومجتمعاتها.

بروتاجوراس السوفسطائى:

يذهب بروتاجوراس الى القول بأن «الانسان مقياس الأشياء جميعاً» ـ وهو قول يعنى أنه لا توجد حقائق موضوعية، بل حقائق مرتبطة بالمعتقدات البشرية فحسب. وهذا القول يجعله فيلسوفاً نسبياً تماماً بل حتى من فلاسفة ما بعد الحداثة. وهو يزعم أيضاً أن الفلسفة ليست أكثر من فن الخطابة أو فن الاقناع اللغوى (أن تكون لديك مهارة تفيدك فى النقاش) وأن تعليم هذه المهارة لتلامذته قد جعلهم «رجالاً صالحين».



كان سقراط رجلاً صغيراً ضئيلاً دميماً أفطس الأنف، وكان والده نحاتاً وأمه قابله. كما كانت زوجته «اكزانثيب» تبيع الخضروات، وكثيراً ما تجد زوجها غامضاً على نحو يثير الغيظ والحنق. لكنه كان ـ بوضوح ـ معلماً من النوع الكارزمى (الساحر للجماهير) لكثير من الشباب الأثينى، ربما لأنه كان يعلمهم أن يسألوا عن كل شىء، وهى عادة غريبة أثارت بغير شك حفيظة آبائهم.

الحوار السقراطي :

كان سقراط يدعي باستمرار أنه لا يعرف شيئاً، وهذا هو السبب في أن كاهنة دلفى قالت عنه أنه «أحكم الناس فى بلاد اليونان». وكان يشجع تلاميذه على مناقشة الأفكار، ليريهم عادة، كيف يصعب العثور على أجابات مقنعة عن الأسئلة الفلسفية . وهذه الريبة التى كان يثيرها «الحوار السقراطى» فى عقول الناس ربما تفسر اللقب الذى أطلق عليه وهو «ذبابة الخيل»(١) .



ولا أحد يعرف ما اذا كان يؤمن أصلاً أن الحوار الفلسفى يمكن أن يكشف عن الحقائق المطلقة بالنسبة لمفاهيم مثل «العدالة» حتى يمكن عندئذ تطبيقها على المشكلات الأخلاقية والسياسية. وكان ايمانه الأساسى هو أن الحكمة الأخلاقية الحقة تكمن فى الذات، وأن «الفضيلة علم».

---

(١) هذا اللقب ـ ذبابة الخيل ـ هو الذى أطلقه سقراط على نفسه فى الواقع. يقول فى محاورة الدفاع «.. أنا ذبابة الخيل التى أرسلها الله لتقض مضاجع الأثينيين». (المترجم)

الحكم بالموت :

ولسوء الطالع كان لسقراط بعض الأصدقاء المشبوهين من أمثال «كريتياس» الذى حكم بطريقة منظمة على كثير من الأثينيين بالموت، لأنهم لم يوافقوا على حكم «الطغاة الثلاثين»[١]. وعندما أطيح بهم فى النهاية، انتقمت منهم محكمة الديمقراطيين، وأصبحت «ذبابة الخيل» مذنبة بتهمة عدم التقوى وإفساد الشباب الأثيني، وحكمت عليه بالموت. فتجرع السم، بشجاعة، بعد أن شرح معتقداته لأصدقائه وتلاميذه[٢].



ولقد ظل سقراط شخصية غامضة ـ رجلاً له مذاق سيىء فى التحالفات السياسية ومع ذلك ظل على الدوام يدافع عن استقلال المفكر ضد أخلاقيات الدولة، لكنه غيّر الفلسفة فأصبحت المشكلات الفلسفية الآن تدور حول السياسة البشرية كالأخلاق. لا عن الطبيعة الجوهرية للعالم المادى.

---

(١) حكومة أثينية تتألف من ثلاثين عضواً ـ من بينهم كريتياس ـ فرضتها اسبرطة بعد هزيمة عدوتها أثينا، وقد ظلت تحكم لمدة عام، ثم أطيح بها فى النهاية، وعادت الديمقراطية من جديد إلى أثينا (المترجم)

(٢) شرح هذه المعتقدات لتلاميذه فى محاورة «فيدون» التى تصور الأيام الأخيرة لسقراط قبل تنفيذ حكم الإعدام بتجرع السم. وقد ترجم هذه المحاورة مع عدة محاورات أخرى الدكتور زكى نجيب محمود بعنوان «محاورات أفلاطون» (المترجم)

أفلاطون .. والملوك الفلاسفة :

كان أفلاطون (٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م.) واحداً من تلامذة سقراط، لكنه على خلاف أستاذه، سلطوى بطريقة غريزية [1]. فقد كان أرستقراطياً أثينياً يكره الديمقراطية التى حكمت بالإعدام على سقراط.



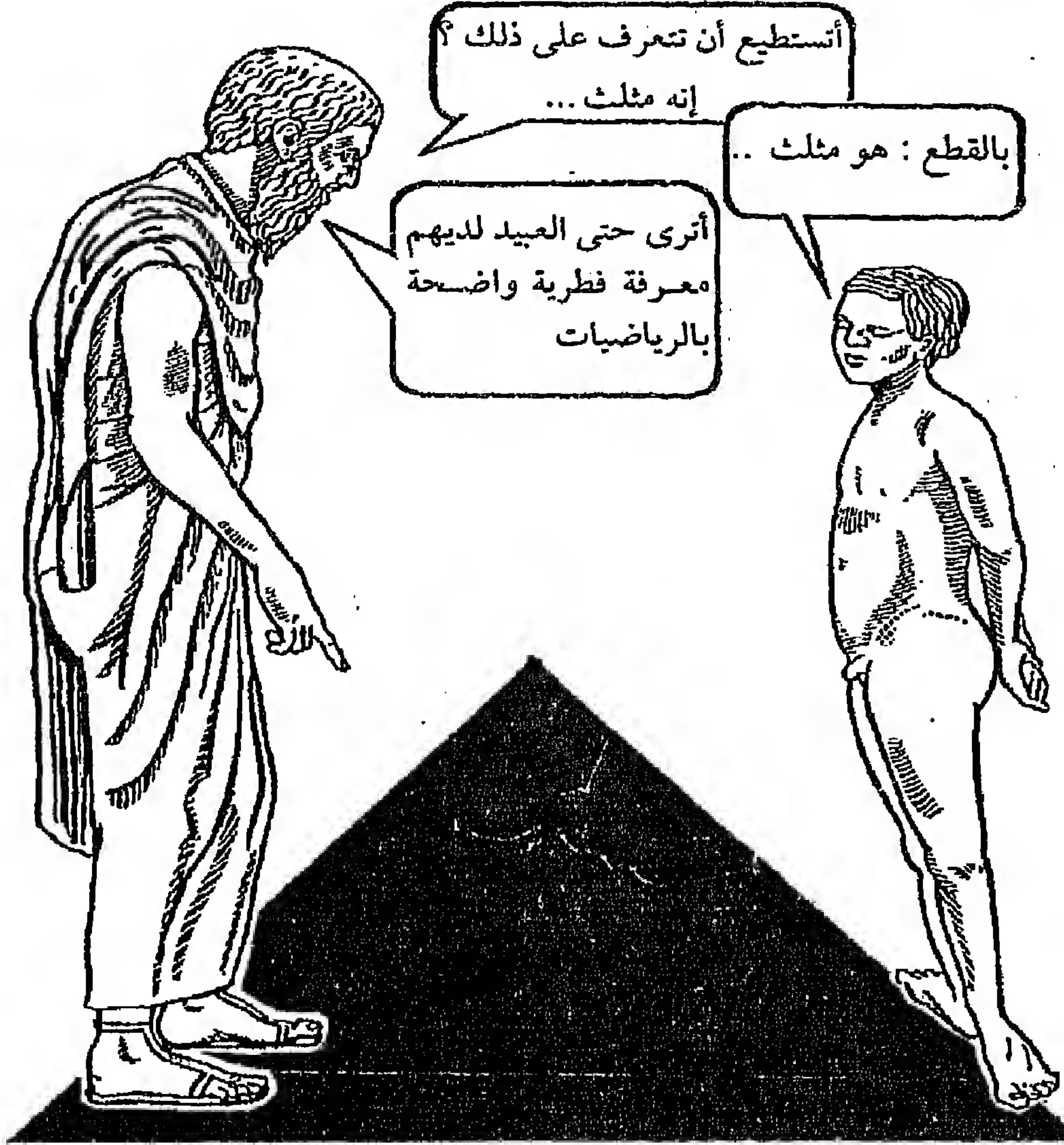
لقد اعتقد ان رفاقه من الأثينيين قد أصبحوا على درجة من الطراوة والتدهور، فمجّد الاسبرطية العسكرية القاسية، التى حافظت على الانتصار فى جميع الحروب التى خاضتها. وأصبح أخيراً معلماً لابن ديونسيوس الأول طاغية صقلية وهو تلميذ منفر للغاية. ثم عاد إلى أثينا ليؤسس أكاديميته. وكان أشهر كتبه محاورة «الجمهورية» التى هى النسخة المفضلة للمجتمع الكامل المنسجم الذى يحكمه حكام من الفلاسفة الحكماء.

---

(١) المقصود هنا إشارة إلى نظام «الجمهورية» الطوبارية التى وضعها أفلاطون حيث يخضع الفرد تماماً للدولة، فكان أفلاطون بذلك من أنصار ضرب من الحكم يقترب من الحكم الشمولى أو السلطوى (المترجم).

النظرية الفطرية :

أثرى أفلاطون الحوار السقراطى عندما كتب فلسفته فى هذا الشكل. وأبدى أفلاطون فى كتاباته المبكرة احتراماً للنظرية الفطرية (Innatism) ـ وهى النظرية التى تقول إننا جميعاً نولد مزودين بأنواع معينة من المعرفة. وبرهن على ذلك بسؤال عبد صبى يملكه صديقه «مينون».

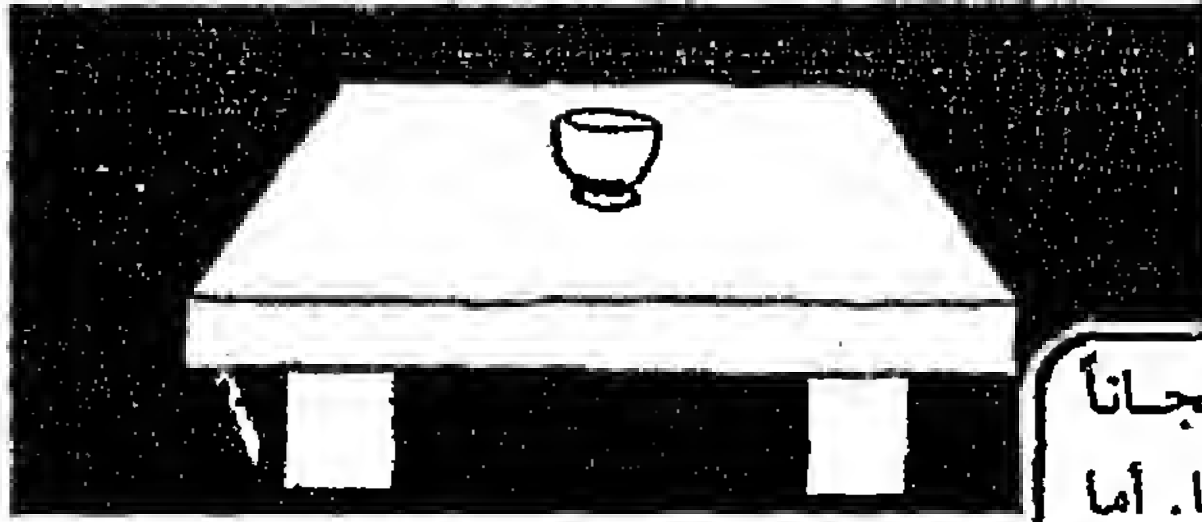


وتفسيره لذلك هو أننا جميعاً نملك أنفساً خالدة كان لها وجود سابق، ومن هنا فإن كل تعليم هو فى الواقع مجرد «تذكر» أو «استرجاع».

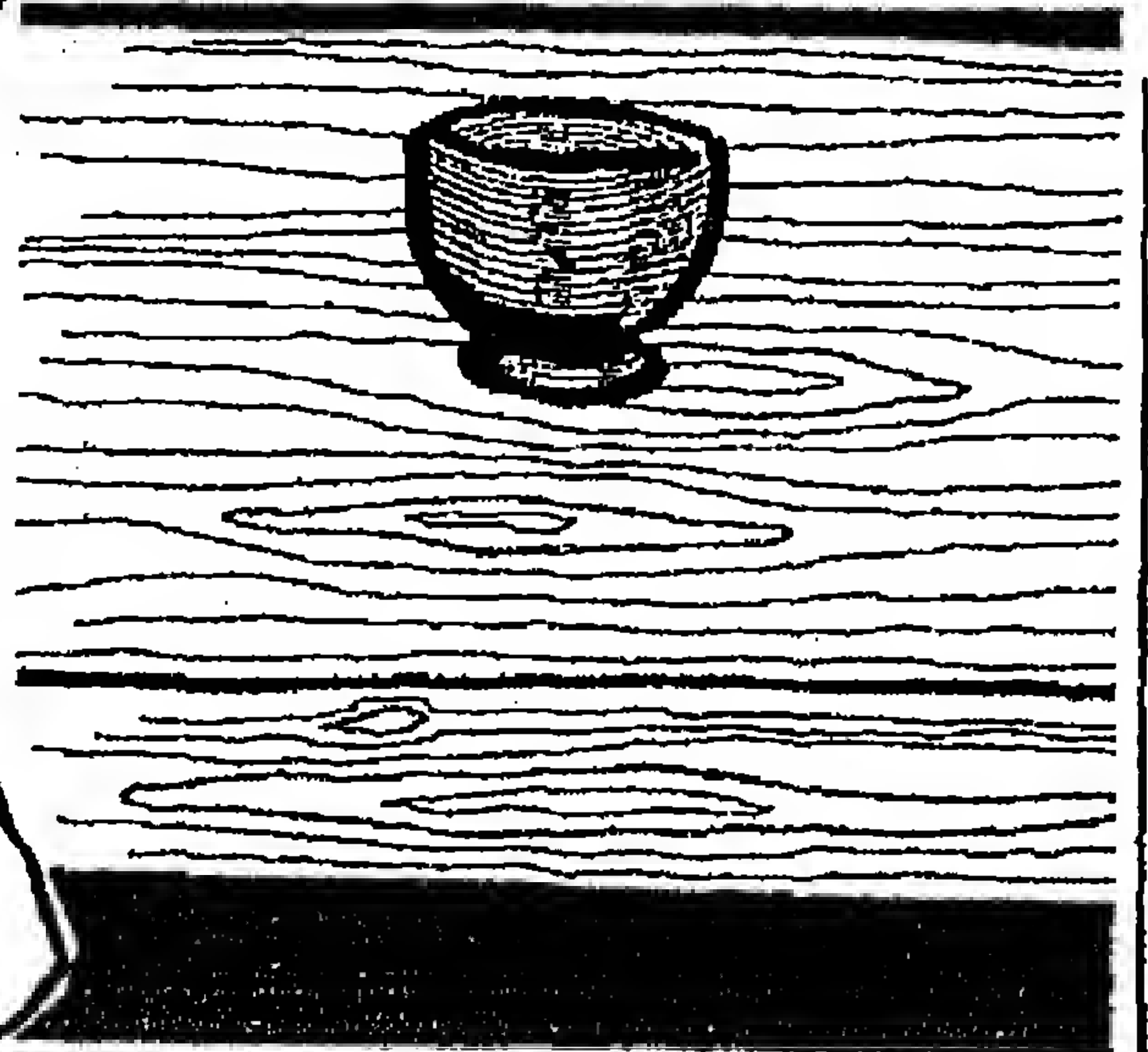
الصور المثالية :

هذه النظرة «التذكرية» للمعرفة ساعدت أفلاطون فى أن يكون رجلاً له «عالمين» فعلى الرغم من أن هناك العالم اليومى الواضح المألوف الذى نستطيع جميعاً أن نراه، فإن هناك أيضاً عالماً آخر هو عالم «المثل» الكاملة الأزلية. والمثل (أو الصور) هى أشبه بالقوالب الكاملة، ومن هنا فإن الأشياء الجزئية مثل المقاعد التى نراها جميعاً فى العالم هى مجرد نسخ دنيا من صورة (أو مثال) المقعد المثالية الخالصة. وقلّة من الناس الموهوبين المدربين الذين يسميهم أفلاطون «بالحراس» هم الذين يستطيعون «رؤية» هذه الصور المثالية. وليس كل إنسان يوافق على ذلك.









أسطورة الكهف :

ويفسر أفلاطون نظريته بأسطورة أو حكاية خرافية. أن الناس العاديين يشبهون السُجَّناء المقيدين على الدوام فى كهف مظلم، ومضطرين لمشاهدة ظلال دُمية متحركة يظنونها حقيقية.

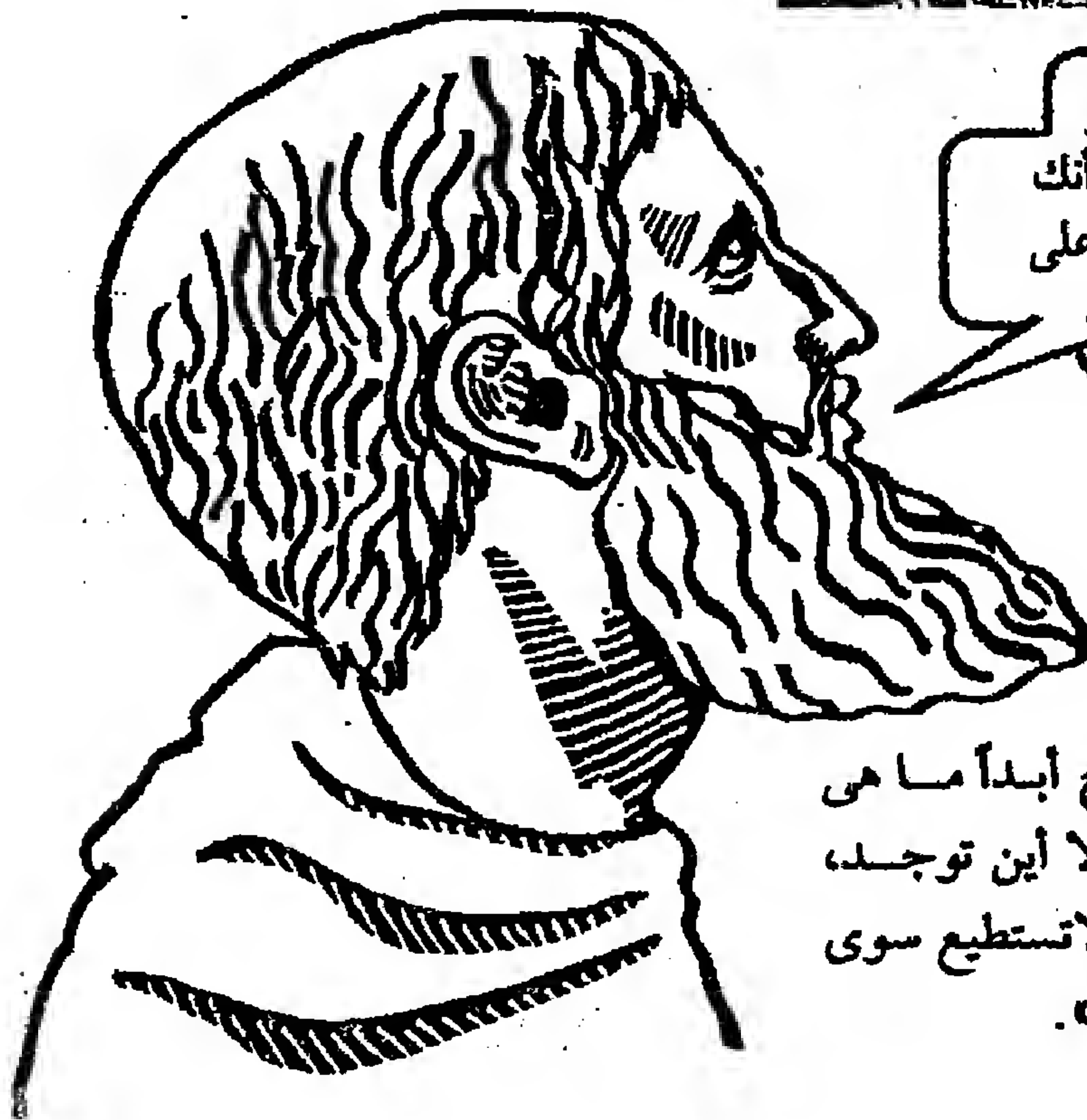




وبالمثل : فإن شخصاً دُرب على مهارات ذهنية كالرياضيات، سوف يكتشف فى النهاية أن هناك عالماً أفضل وأكثر حقيقة هو عالم الصور (أو المثل) يجاوز تجربة الحياة اليومية. أمثال هؤلاء الأفراد سوف يرون ويعرفون، أخيراً، «الخير ذاته». ويصبحون الحكام من معدن الذهب المعصومين من الخطأ فى مجتمع يتألف من أفراد من معادن الفضة، والحديد والنحاس الذين لن يناقشوا النظام أبداً ـ فى هذه الجمهورية ـ وإذا أراد أحد أن يعرف شيئاً فما عليه إلا أن يسأل «الحراس».

ويبدو أن أفلاطون فى كتبه المتأخرة، كانت لديه بعض الشكوك حول المثل وكيفية ارتباطها بموضوعات الحياة اليومية فى العالم أو «الجزئيات» ومذهب أفلاطون من المذاهب «المغلقة» فإذا ما قبلت ما يقوله عن المعرفة، فإن عليك عندئذ أن تقبل نظرياته السياسية والأخلاقية. ويبدو أن أفلاطون كان يعتقد أن المعرفة كلها يمكن أن تكون دائمة وثابتة ومتحررة من المادة مثل الرياضيات ـ مع أن ذلك غير ممكن. ومن المحتمل أنه «فتن» كذلك بالخاصية التى كانت شائعة عند اليونان القدماء والتى تذهب إلى أنه إذا ما عرفت شيئاً ما، فإنك تستطيع أن تخبره على نحو مباشر.





لكن ليس من الواضح أبداً ما هى «المثل» أو الصور، ولا أين توجد، وماذا تشبه، ولا لماذا لاتستطيع سوى قلّة من الخبراء أن تراها».

خبراء الفلسفة :

تشجع فلسفة أفلاطون الأجيال القادمة من الفلاسفة للإيمان بأن وظيفتهم هى اكتشاف الأنواع الخاصة من المعرفة «السرية» و«المثالية» التى تكمن خلف سطح الحياة اليومية. وفلسفته السياسية هى أيضاً ـ بالقوة ـ تشجيع خطير لخلق «يوتوبيا» يحكمها نخبة سلطوية متفوقة. ونحن نعرف ما الذى يقود إليه هذا النوع من التجارب.



أرسطو المُعلِّم :

عندما كان أرسطو (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق.م.) فى الثامنة عشرة من عمره ذهب إلى أثينا قادماً من مقدونيا ليدرس فى أكاديمية أفلاطون. ومن الواضح أنه أحب أن يظل طالباً فى هذه الأكاديمية لأنه بقى فيها زهاء عشرين عاماً. وعندما توفى أفلاطون ترك أرسطو أثينا، وتزوج ، وعاد إلى بلده فى مقدونيا.

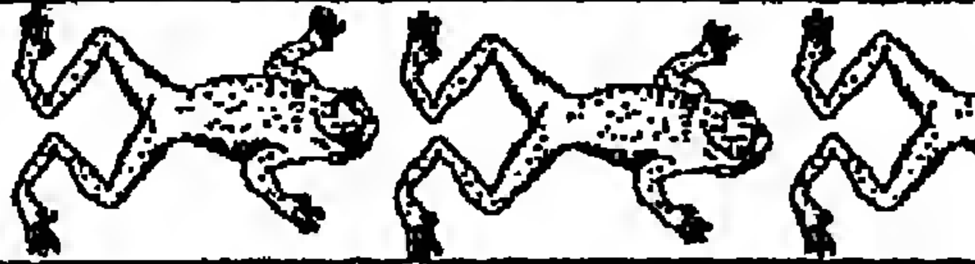


أرسطو عاد فى النهاية إلى أثينا، وأسس جامعته الخاصة المسماه «باللوقيون». لكنه كان عليه أن يغادر أثينا عندما مات الاسكندر وذلك لأن الاستعماريين المقدونيين أصبحوا فجأة مكروهين إلى أقصى حد وأخيراً مات فى المنفى فى «أيوبيا» عام ٣٢٢ ق.م. وطلب فى وصيته إعتاق عبيده على الرغم من أنه ذهب من قبل إلى أن هؤلاء الناس المأسورين هم عبيد «بالطبيعة».

منطق استنباطى أم قياسى ؟

كتب أرسطو ما يقرب من أربعمائة كتاب، تقريباً، فى كل شىء دب من الحيوانات الرخوة إلى الأنفس الخالدة.

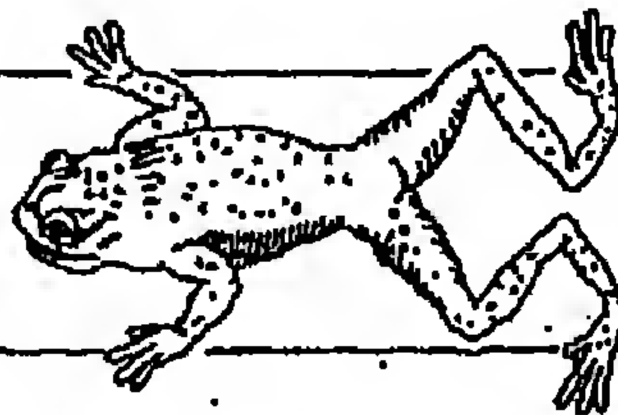




كل الضفادع تستطيع العوم (مقدمة)



هذه ضفدعة (مقدمة)



إذن تستطيع العوم (نتيجة)

وهناك بنية أخرى عن الأقيسة يمكن إنتاجها من قضايا مثل «لا ضفدع» و«بعض الضفادع» ولو أن برهانك اتبع بعض القواعد البسيطة (مثل عدم السماح بشيء فى النتيجة أكثر مما يكون فى المقدمتين) فسوف يكون عندئذ سليمًا . وإذا ما كانت المقدمتان صحيحتين كان برهانك صحيحاً، وعندئذ سوف تكون النتيجة مضمونة.



المنطق أداة قوية ، إلا أن أرسطو لم يكن أبداً واضحاً بالنسبة لما يخبرك به المنطق على وجه الدقة ـ أهو العالم نفسه، أو الذهن البشرى، أو كيف تعمل اللغة .

الاستقراء والعلم :

لم يكن أرسطو مقتنعاً أبداً بنظرية أفلاطون الغريبة عن الصور المثالية، ولقد كان يعتقد أيضاً أن العالم مصنوع من «الصور» لكن هذه الصور ليست سوى أنواع طبيعية، ومهمة العالم هي اكتشاف هذه الأنواع، واكتشاف خصائصها. وذلك هو أحد الأسباب التي جعلت أرسطو يعترف بأهمية الاستقراء، فعن طريق ملاحظة أن الضفادع الجزئية تعوم، نستطيع أن نقوم بتخمين المعلومة التي تقول: إن جميع الضفادع قادرة على العوم.







إننا عن طريق قدرتنا على التعميم من الضفادع الجزئية إلى الأنواع، فإننا نستطيع أن نبدأ في إقامة العلم. إذ نستطيع أن نستخدم التعميمات الاستقرائية عن الأنواع لنستنبط النتيجة عن الضفدع الفرد، وذلك يعطي العلم القدرة على التنبؤ.

العلل الغائية :

كان أرسطو يعتقد أن الأشياء الفردية هي وحدها الموجودة ، وليس «الصور»، وأن لكل شيء عللاً «غائية» أو وظيفة بالقوة، وهكذا نجد أن النار هي القوة المستمرة القادرة على التحرك إلى أعلى، وتحريك الموضوعات الثقيلة لتسقط إلى أسفل. أما الأشياء الأخرى كالنبات، والحيوان، والموجودات البشرية فلها وظائف أخرى أكثر تعقيداً.





وهذا التفسير الدائرى والفارغ إلى حد ما، عن السبب الذى يجعل الأشياء على ما هى عليه يسمى بالتفسير الغائي، فالأمر كما لو كانت «العلة» عبارة عن «جاذب» داخلي غامض أو غرض نهائي، وليست «دافعاً» خارجياً منفصلاً.

العلماء والفلاسفة المحدثون أقل ثقة فيما يتعلق بالتنبؤ بماذا تكون عليه العلّة الغائية لكل شيء. بل إنهم أصبحوا أكثر شكاً فيما إذا كان هناك مثل هذه العلة الغائية، وذلك بفضل المعتقدات التطورية عند دارون.

الأنفس .. والجواهر :

كان لأرسطو أيضاً رأى فى السؤال الكبير، فلم يقبل القول بأن الموضوعات المادية هى فقط نسخ دنيا من الصور أو المثل الأزلية. فعند أرسطو أن كل شىء مصنوع من جواهر فريدة، ذات خصائص جوهرية أو عرضية. أما الخصائص الجوهرية فهى التى تعرّف شيئاً ما.



وهذه المشكلة الفلسفية الخاصة «بالجوهر» استمرت تزعج الفلاسفة فى الألفين وخمسمائة سنة التالية. ويقول أرسطو أيضاً: إن الأنفس هى مبدأ كل الحياة البيولوجية. فالنبات له نفس نباتية هى التى تجعله ينمو ، وللحيوان نفس حيوانية هى التى تزوده بالإحساس، أما الموجودات البشرية فلها النفسين معاً، بالإضافة إلى العقل. وعلى خلاف الأنفس الفيثاغورية والأفلاطونية، فإن النفس الأرسطية لاتزودنا ، بأى ضمان للخلود.

أخلاق الاعتدال :

كان أفلاطون يعتقد أن الأخلاق ينبغى أن تترك للخبراء المعصومين من الخطأ، بينما اعتقد أرسطو أن الأخلاق هى أشبه ما تكون بنوع من المهارة العلمية التى يكتسبها معظم الراشدين عن طريق التجربة. فالآباء يدربون نسلهم ليكون سلوكهم نحو غيرهم من الأطفال والراشدين سلوكاً أخلاقياً، ثم يتعلمون كيف يكونوا معقولين ومعتدلين فى معاملاتهم مع الآخرين. فالموجودات البشرية حيوانات اجتماعية مبرمجة؛ لتعيش معاً فى انسجام حتى ولو كانت أخلاقهم بحاجة إلى أن تدرب بانتظام، باختيار «الوسط» بين حدّين أقصيين.



وهكذا تكون الأخلاق عند أرسطو ضرباً من «تحقيق الذات» أكثر منها أخلاقاً بما هى كذلك.

إضفاء اللوم :

ويذهب أرسطو إلى أن سقراط أخطأ فى اعتقاده أن «الفضيلة علم».



قد تبدو الأخلاق عند أرسطو واضحة وجامدة، غير أن «نظريته الأخلاقية» يمكن أن تكون صحيحة، فربما كانت الأخلاق ينبغى أن تدور حول إنتاج أناس خبروا الأخلاق أكثر مما تدور حول ابتكار مذاهب أو قواعد أخلاقية «خالصة».

لكن هل للموجودات البشرية هذه الوظائف أو الفضائل «الأخلاقية». وقد تكون وظيفتنا أن نعمل بلا رحمة كأفراد.

الأحلام الأفلاطونية، والواقعية الأرسطية :

لقد جعل سقراط، وأفلاطون، وأرسطو الفلسفة الغربية تقوم على أساس راسخ. ولقد ذهب الفيلسوف أ. ن. وايتهد (١٨٦١ - ١٩٤٧) فى عبارة شهيرة إلى أن الفلسفة الغربية بأسرها ليست أكثر من «حواشى على أفلاطون..» [١]. لقد طرح أفلاطون جميع الأسئلة الصحيحة التى لايزال الفلاسفة يبحثون عن إجابات عنها ولقد قيل أيضاً ـ بصفة عامة ـ إن الفلاسفة منذ ذلك التاريخ قد ساروا فى واحد من الاتجاهين :



(١) فى ظنى أن العبارة قيلت عن محاورة الجمهورية وهى «ليست الفلسفة الغربية كلها سوى هوامش على جمهورية أفلاطون» المترجم.

فترة فاصلة : تاريخ موجز :

دولة المدينة اليونانية المستقلة ابتلعتـها فى النهاية أمبراطورية الإسكندر الأكبر (٣٥٦ ـ ٣٢٣ ق.م.) تلميـذ أرسطو الذى اكتسحت فتوحـاته فارس ومصـر وامتدت حتى حدود الهند. وهكذا بدأ العصر الهلنستى (٣٢٣ ـ ٣٢٧ ق.م.) [١] عندما انتشرت الثقافة اليونانية بطول البحـر المتوسط، ثم اقتسـم قادة الاسكندر داخل البلدان التى فتحوها وحكمـوهـا (وكـانت واحـــدة من نــســل هؤلاء هى كليـوبطرة (٦٩ ـ ٣٠ ق.م.) ملكة مصر [٢] إلى أن أنــهــت الإمـبـراطورية الرومـــانيـــة حكمهم.



(١) منذ غزو الاسكندر الأكبـر للشرق بدأت ثقافة جديدة وحضارة جـديدة فى الظهور ، هى مزيج من ثقافة اليـونان وثقافة الشرق القديم وسميت باسم «العصر الهلنستى» ولا يستخدم هذا المصطلح أبداً إلا بعد وفاة الاسكندر (المترجم).

(٢) بعد وفاة الاسكندر تقاسم قواده «التركة» المتمثلة فى الأمبـراطورية اليونانية المترامية الأطراف، فكانت آسيا من نصيب سليكوس Seleucus وعاصمتها أنطاكيا، وكـانت اليونان من نصيب القائد أنتيجونس Antigonus . أما مصر فكانت من نصيب القائد بطليموس، ومن هنا بدأ فيها حكم البطالسة الذى انتهى بـكليوبطرة (آخر ملكة للبطالسة) وكان حبها لأنطونيو هو الذى أدى إلى دخول الرومان وانتهاء الفترة اليونانية (المترجم)

الأبيقوريون : "ازرع حديقتك" :

تناثرت الفلسفة الهلنستية إلى مدارس مختلفة متأثرة بالنموذج الأرسطى فى «الحياة الطيبة» ، الذى لم يعد بعد الآن يعنى أن تكون مواطناً شريفاً أو نبيلاً فى دولة المدنية الصغيرة، بل بقاء المرء فى نظام أمبراطورى ضخم كثيراً ما ينهار.

لقد ذهب أبيقور (٣٤١ ـ ٢٧٠ ق.م.) إلى أن الفرد لا يحتاج إلى سكينة الذهن وسلامته ليكون سعيداً. وبوصفه من أتباع ديمقريطس فقد أكَّد أنه لاشىء يخيف فى الموت إنه ببساطة : ذوبان أنفسنا وأجسامنا وتحولها إلى ذرات.



لايمكن تحقيق الرضا الشخصى إلا عن طريق الانسحاب من العالم البغيض، الذى كثيراً ما يكون عنيفاً وهو عالم السياسة، وهذا هو السبب فى أن الأبيقوريين يعرفون أحياناً بفلاسفة «الحديقة».

الـرواقـيـون :

ذهب الرواقيون إلى أن الطريق المؤدى إلى حياة طيبة هو الإيمان بالعقل وحده. وعدم الثقة فى الانفعالات البشرية؛ لأن المشاعر، فى النهاية، تجعلنا باستمرار تعساء.





كانت الرواقية أعظم فلسفة مؤثرة فى الأمبراطورية الرومانية، فقد جذبت أفراداً من طبقات اجتماعية مختلفة مثل العبيد، فكان منها العبد ابيكتيوس (٥٥ ـ١٣٥ ميلادية) ، والأمبراطور مارقس أوريليوس (١٢١ ـ ١٨٠ ميلادية).

ولقد أعاد الفيلسوف المعاصر «مارثا نوسبوم» اكتشاف المنجم الثرى فى النظرية الأخلاقية والسياسة للرواقية عند «شيشرون» (١٠٦ ـ ٤٣ ق.م.) وسينكا (٤ ق.م. ـ ٦٥ ميلادية) ومارقس أوريليوس الذى شارك فى المثل العليا للمواطنة العالمية والمساواة العالمية.

الشكاك والكلبية :



لقد بحث الشكاك أيضاً عن الحياة الطيبة، لكن الحل الذى قدموه كان أشد عجباً، لقد ابتكر «بيرون» (٣٦٠ ـ ٢٧٢ ق.م.) المذهب الشكيى وعلّم الناس أنه ليس من الحكمة الإيمان بأى شىء، وسار مع هذا الاعتقاد إلى حدوده القصوى بأن مشى قريباً من حافة الجبل ، وفى مواجهة الخيل. إلى أن مات فى سن متقدمة. أما ديوجنز الكلبى (٤١٢ـ٣٢٢ق.م.) فقد كان فوضوياً تماماً، يعيش فى برميل، كما كان فظاً مع كل فرد آخر حتى مع الإسكندر الأكبر (١).



سكستوس امبريقوس
(٢٠٠ ميلادية)

لقد اشار سكستوس ـ مثل هيراقليطس ـ إلى أن المعرفة كلها نسبية، ومن ثم فلا قيمة لها، ولاشىء يمكن فى النهاية البرهنة عليه. (فأى برهان يحتاج هو نفسه إلى البرهنة عليه.. وهكذا إلى ما لا نهاية). والواقع أن الشكاك فى النهاية يخدعون . فهم باستمرار دجماطيقون بالنسبة لنظريتهم الأساسية وهى النسبية .

(١) كانت المدرسة الكلبية تتألف من مجموعة من الفلاسفة تأثروا بزهد سقراط (ولهذا أطلق عليهم لقب صغار السقارطة على اعتبار أن أفلاطون هو السقراطى الكبير) وكانوا يشترطون للانضمام إلى زمرتهم العزوف عن خيرات الدنيا. واختلف المؤرخون فى تسميتهم فقال قوم: إنهم كانوا يجتمعون فى مكان اسمه «الكلب السريع» وقال آخرون لأنهم كانوا يعيشون كما يعيش الكلب أو لأنهم حراس الفضيلة يتبحون على الرذيلة كما ينبح الكلب الحارس عند الخطر (المترجم).

(٢) كان ديوجنز يعيش فى الشارع وينام فى صناديق القمامة ويسخر من جميع الناس وكثيراً ما يحمل مصباحاً ليبحث عن الحقيقة فى ضوء النهار. والتقى به الأسكندر وهو ينام على الأرض مستمتعاً بأشعة الشمس ، ولما طلب منه أن يتمنى قال: أتمنى ألا تحجب عنى ضوء الشمس !! (المترجم).

تاريخ موجز مرة أخرى :

كثيراً ما يقال: إنَّ الأمبراطورية الرومانية انهارت فى القرن الخامس الميلادى، ومع ذلك ظلت روما نفسها بعد ذلك مركزاً هاماً للكنيسة المسيحية. وتأسس النصف الشرقى من الامبراطورية الرومانية ـ أو البيزنطية ـ فى مدينة القسطنطينية عاصمة له عام ٢٩٣ ميلادية، وظل قائماً حتى سقط على يد الأتراك عام ١٤٥٣. وازدهرت الحضارة العربية فى ظل الإسلام من القرن السابع الميلادى، وانتشرت عبر شمال إفريقيا إلى أسبانيا.



قدوم المسيحية :

كان الأمبراطور قسطنطين (٢٨٥ - ٣٣٧ ميلادية) أول أمبراطور روماني يعتنق المسيحية، ويجعلها الديانة الرسمية للامبراطورية حوالى عام ٣٢٠ ميلادية. وهكذا بدأت قوة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية فى الظهور التي فرضت ثقافتها الشاملة فى جميع أنحاء أوربا الغربية. ولقد احتكرت الكنيسة جميع أشكال التفكير الفلسفى وأحبطت، بهمة ونشاط، أية آراء مستقلة أو معتدلة.





لقد حاول بعض الفلاسفة من أمثال أفلوطين (٢٠٤ - ٢٧٠ ميلادية) أن يقوموا بتوفيق صعب بين نظرية الكنيسة المبكرة وأعمال أفلاطون.

آباء الكنيسة :

يُعرف الفلاسفة «الرئيسيون» فى هذه الفترة باسم «آباء الكنيسة» الذين أقاموا وأوضحوا النظريات المركزية والمعتقدات المركبة فى الكنيسة. وهم يحسبون «فلاسفة» لأنهم كانوا يعتقدون أن الله وهب العقل للموجودات البشرية ليحاجوا ويناقشوا المشكلات اللاهوتية فهناك فى الاعتقاد المسيحى ما هو أكبر من الخرافة العمياء.

وأحد هؤلاء الآباء الذى كان يصرّ باستمرار على السلطة المطلقة للكنيسة هو القديس أوغسطين (٣٥٤ ـ ٤٣٠) ولقد ولد فى شمال إفريقيا وكتب «اعترافاته» الشهيرة عن خطاياه فى فترة الشباب.



مشكلة الشر:

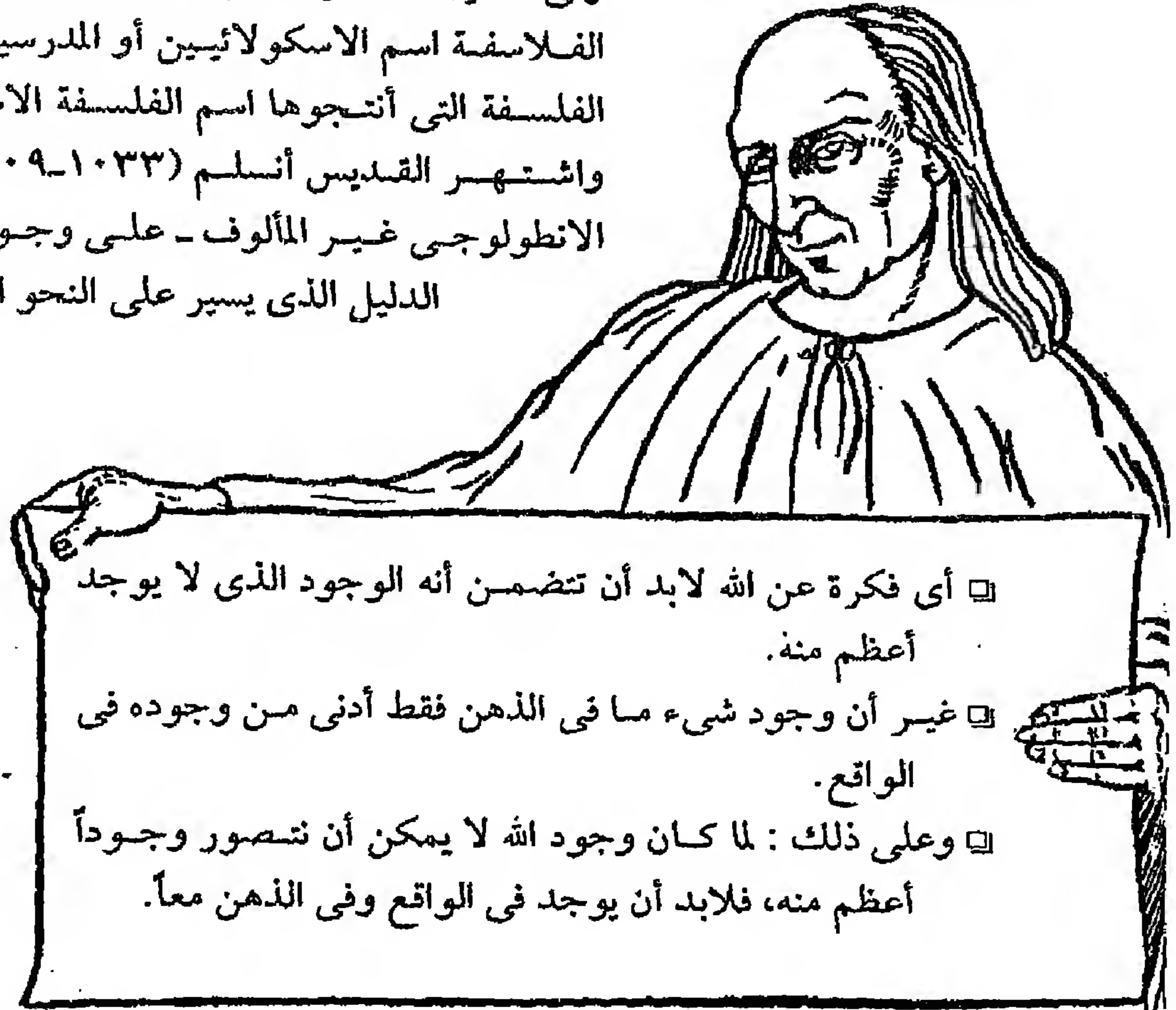
ذهب أوغسطين إلى أننا نحن أنفسنا سبب الشر وليس الله. وما كان من الممكن أن تظهر مشكلة الشر لو أن الله خلق آلات ذاتية الحركة مبرمجة على «الخير» بدلاً من الموجودات البشرية. لكنه ـ بكرم منه ـ خلقنا أحراراً، وأفراداً حركتهم ذاتية.



وانتهى أوغسطين إلى أن الله يعرف باستمرار الخيارات التى نقدم عليها، لكنه يحجم عن التدخل. كما انبهر أوغسطين أيضاً بالدليل الغائى على وجود الله. وتلك هى نظرية العلّة الغائية أو الغرض الغائى: فالعالم جميل، ومنظم تنظيماً تاماً، وكل جزء فيه يشير إلى إله خالق يوجد خارج الزمان.

دليل القديس أنسلم :

وفى القرن الحادى عشر أطلق على اللاهوتين من الفلاسفة اسم الاسكولائيين أو المدرسيين، وعلى الفلسفة التى أنتجوها اسم الفلسفة الأسكولائية. واشتهر القديس أنسلم (١٠٣٣-١١٠٩) بدليله الانطولوجى غير المألوف ـ على وجود الله. وهو الدليل الذى يسير على النحو التالى :



لقد كان القديس أنسلم يعتقد ، فيما يبدو، أنه إذا ما صاغ الكلمات صياغة صحيحة، فإنه يستطيع عندئذ أن يصل، بطريقة ما إلى برهان على وجود الله. أن الدليل الانطولوجى هو نوع من الألاعيب السحرية.



اسمية أبيلارد :

كان للاهوتى بطرس أبيلارد (١٠٧٩-١١٤٤) علاقة غرامية بتلميذته «هلويز» (١) وبسببها أصبح خصياً، ودخلت الدير، وأنفقا البقية الباقية من حياتهما فى كتابة الرسائل الغرامية كل منهما إلى الآخر. ولقد توصل أبيلارد إلى بعض الأفكار المثيرة للجدل عن طبيعة اللغة والعالم.



كلمات مثل «القط» و«المقعد» فى أى قاموس هى فى العادة أسماء فئات عن الأشياء أو «كليات». وكان أفلاطون يعتقد أن مثل هذه الكلمات تشير إلى «صور» أو مثل «إلهية خاصة». ويؤكد أبيلارد أنه لا وجود لمثل هذه الكيانات فلا يوجد فى العالم سوى الجزئيات الفردية. ومن ثم فإن اللغة يمكن باستمرار أن تخدع الفلاسفة فتجعلهم يعتقدون فى أشياء غريبة لا وجود لها.

(١) أحب أبيلارد تلميذته الصغيرة «هلويز» ذات السبعة عشر ربيعاً (وكان هو فى سن التاسعة والثلاثين) ـ وكانت العلاقة سرية فى البداية إلى أن حملت الفتاة ثم ولدت ابناً عندئذ قام أهلها بالانتقام من أبيلارد فقطعوا أعضاءه الجنسية وهو نائم ! ـ قارن كتابنا «الفيلسوف المسيحى ... والمرأة» ص ١١-١٢ مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٦ (المترجم).

الأكويني واللاهوت الطبيعي :

القديس توما الأكويني (١٢٢٥ـ١٢٧٤) ابتكر دليلاً آخر على وجود الله يشبه دليلاً قال به أرسطو عن «المحرك الأول»، وهو الدليل الكسمولوجي الذي يشير إلى أن لكل شيء علة، ومن ثم فلابد أن تكون هناك علّة كبرى لكل شيء هي الله. كما كان توما الأكويني يؤمن أيضاً «باللاهوت الطبيعي».



كانت تلك أنباء طيبة لعلماء العصور الوسطى؛ لأنها تعني أن العلم ليس بالضرورة نشاطاً إلحادياً. وكانت نظرية الأكويني تتضمن أيضاً أنه في حالات نادرة يمكن الموافقة على عصيان القانون الدنيوي، إذا ما اعتقدنا أنه يتعارض مع القانون الإلهي.

نصل أوكام :

تابع اللاهوتيون المتأخرون من أمثال وليم الأوكامى (١٢٨٥ـ١٣٤٩) الاهتمامات الإسكولائية فدرسوا مشكلات معقدة فى المنطق واللغة، والمعنى. وكان أوكام فيلسوفاً اسمياً آخر، أشار إلى أن قدراً كبيراً من الفلسفة الأكاديمية ليس فى الحقيقة سوى فطيرة عن كيانات خيالية. كما ذهب إلى أن الحقائق العظيمة هى فى العادة بسيطة. ومن ثم فمن الحمق تفضيل الإجابات المعقدة عن إجابات أبسط. وهذا المبدأ يعرف باسم «نصل أوكام» وكان له تأثير كبير فى مجال العلم، وإن لم يكن له هذا التأثير ـ لسوء الطالع ـ فى مجال الفلسفة.

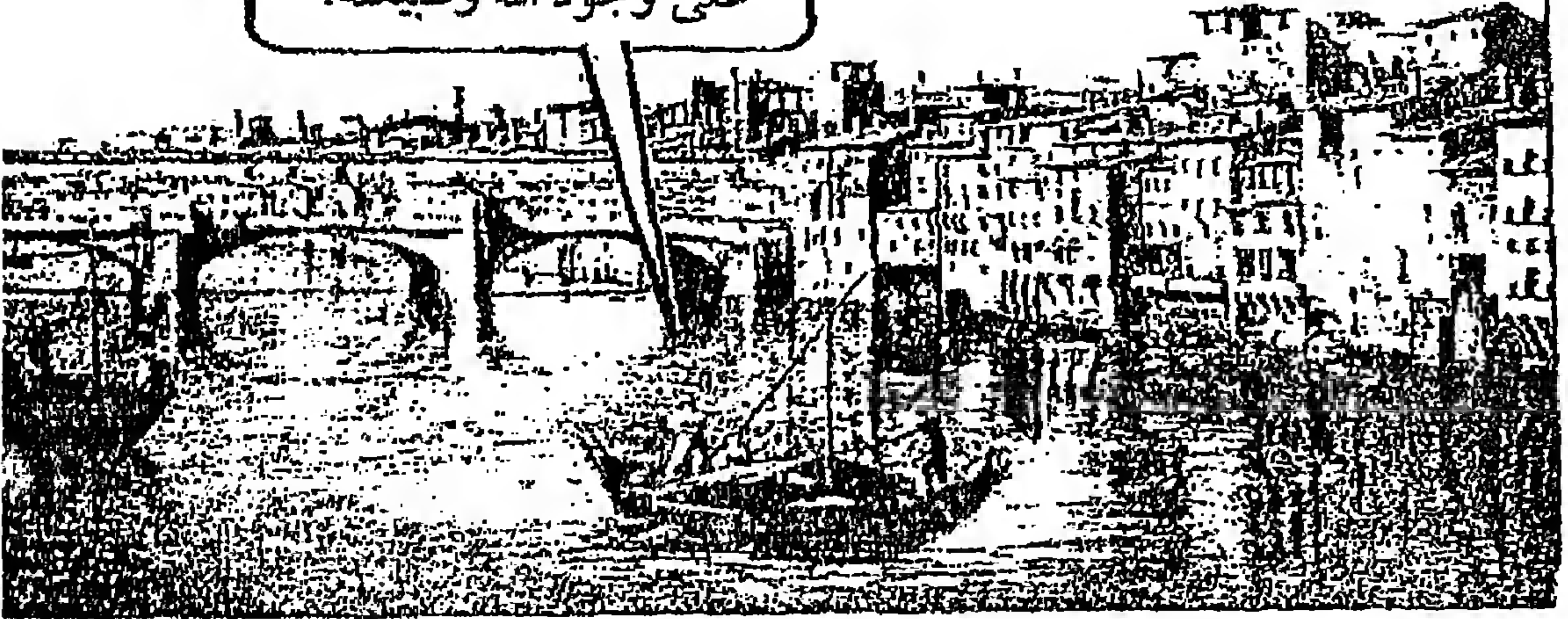
من الحمق أن تفعل الكثير لشىء يمكن أن تفعله بالأقل.

ينبغى أن تجعل كل شىء بسيطاً بقدر الإمكان، لكن ليس أبسط.

المذهب الإنسانى فى عصر النهضة :

بدأ الحدث الثقافى المعقد المعروف باسم عصر النهضة فى شمال إيطاليا فى القرن الرابع عشر وانتشر فى جميع أنحاء أوروبا خلال القرنين التاليين.





وبدأ المجتمع الإقطاعى ينقرض بالتدريج، وبدأت المدن تصبح أكثر أهمية، وشجع أعضاء الطبقة التجارية الحديثة ـ الأفكار الجديدة فى الرياضيات، والعلم، والتكنولوجيا. من ناحية؛ لأن هذه الأشياء يمكن أن تجلب مالاً. وكان التغيير العظيم الآخر هو الإصلاح الدينى الذى سمح للفلاسفة الذين يعيشون فى بلدان بروتستانتية أن يسألوا أسئلة أكثر راديكالية عن العلم، والسياسة، والأخلاق.

إرازموس : الشاك :

هناك فيلسوف ساعد ، بلا قصد، على بداية الإصلاح الدينى البروتستانتى ـ هذا الفيلسوف هو إرازموس Erasmus (١٤٦٦ ـ ١٥٣٦) بكتابه «فى الثناء على الحمق» لقد انتقد إرازموس بقسوة فساد الكنيسة الكاثوليكية . ولم يحمل أحداً محمل الجد، ولا الفلاسفة.



ولقد اعتقد أيضاً ـ مثل الشكاك من قبله ـ أن الحكمة البشرية ليست سوى وهم، ولايمكن بلوغها.

المنظِّرون السياسيون :

سيطر أرسطو على معظم لاهوت العصور الوسطى وفلسفتها والعلم فيها، وبدأ علماء عصر النهضة يكتشفون أنه كثيراً ما يكون مخطئاً من الناحية النظرية. فالشمس لا تدور حول الأرض ، ولقد أصر أرسطو أيضاً على أن هدف كل نشاط سياسى هو انتاج مواطنين مستقيمين أخلاقياً. هناك فيلسوفان سياسيان من فلاسفة عصر النهضة اعتقدا أنه كان مخطئاً فى هذا أيضاً.

نيقولا مكيافللى (١٤٦٩ ـ ١٥٢٧) لاحظ سلوك حكام عصر النهضة فى إيطاليا القاسى الذى يخلو من كل مبدأ، واستنتج من ذلك أن السياسة هى بالضرورة لعبة قذرة من الغش والخداع. وذهب فى كتابه «الأمير» إلى أن الأخلاق والسياسة لا يجتمعان.



لقد كان مكيافللى منظِّراً سياسياً أكثر منه فيلسوفاً حقيقياً. لكن ملاحظاته الدقيقة عن السياسة العملية أقامت مبادئ المجتمع المدنى الدنيوى الحديث.

ويعطينا الفيلسوف الإنجليزى توماس هوبز (١٥٨٨ (١٦٧٩) تفسيراً تشاؤمياً عن الطبيعة البشرية فى كتابه «اللوياثان» (١) وقد افتتن بالصراحة الاستنباطية للهندسة، فاعتقد أن البرهان المنطقى يمكن استخدامه لانتاج فلسفة سياسية. ويسمى رأيه فى الطبيعة البشرية أحياناً باسم «مذهب الأنانية السيكولوجية» ، وهو مذهب آلى وساخر بطريقة عميقة.

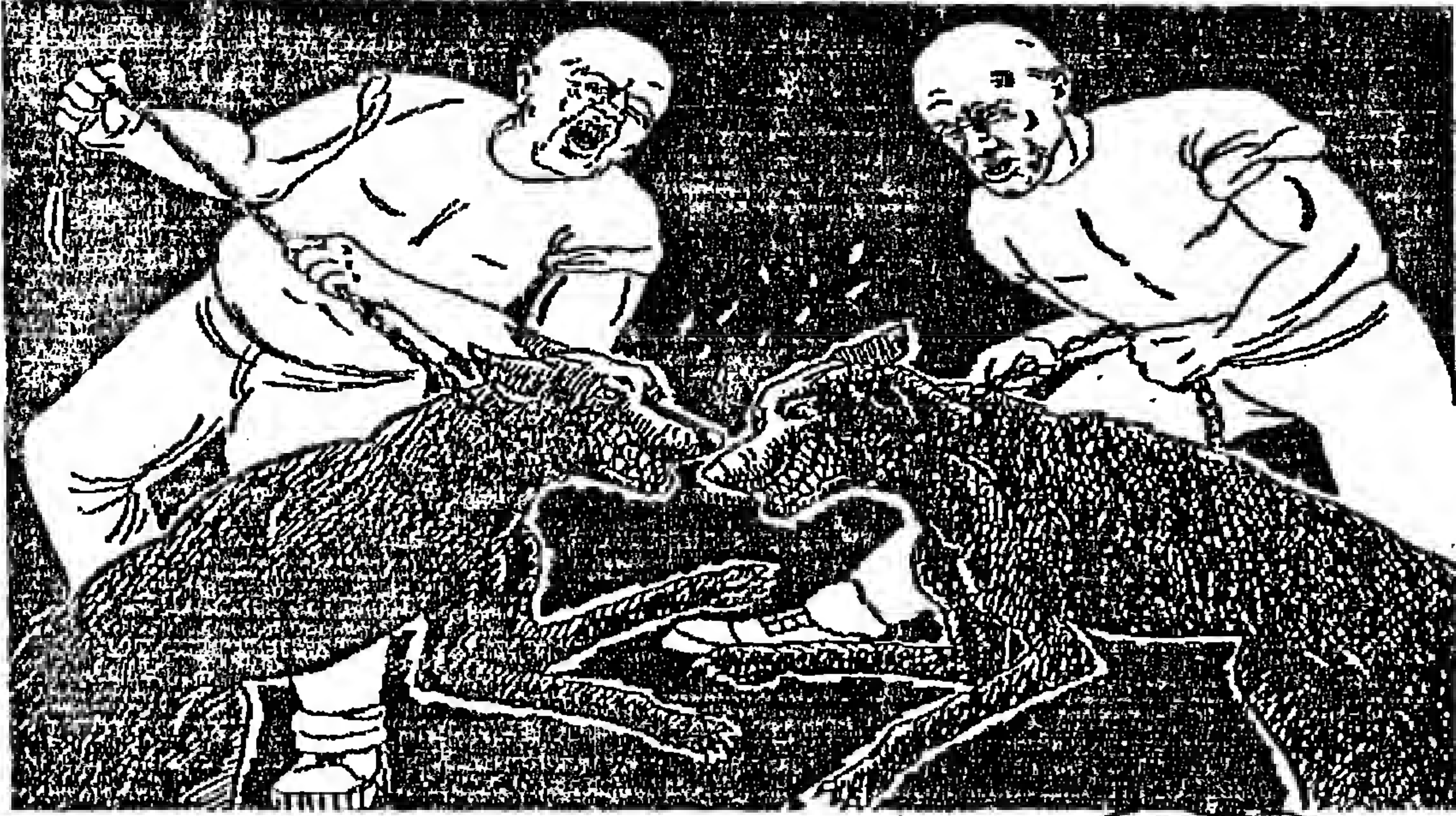


إننا إذا ما تركناهم لرغباتهم فى «حالة طبيعية، فلا مندوحة عن أن يقتل كل منهم الآخر. وسرعان ما تصبح الحياة لكل منهم «فقيرة، وكريهة، وموحشة، ووحشية، وقصيرة».

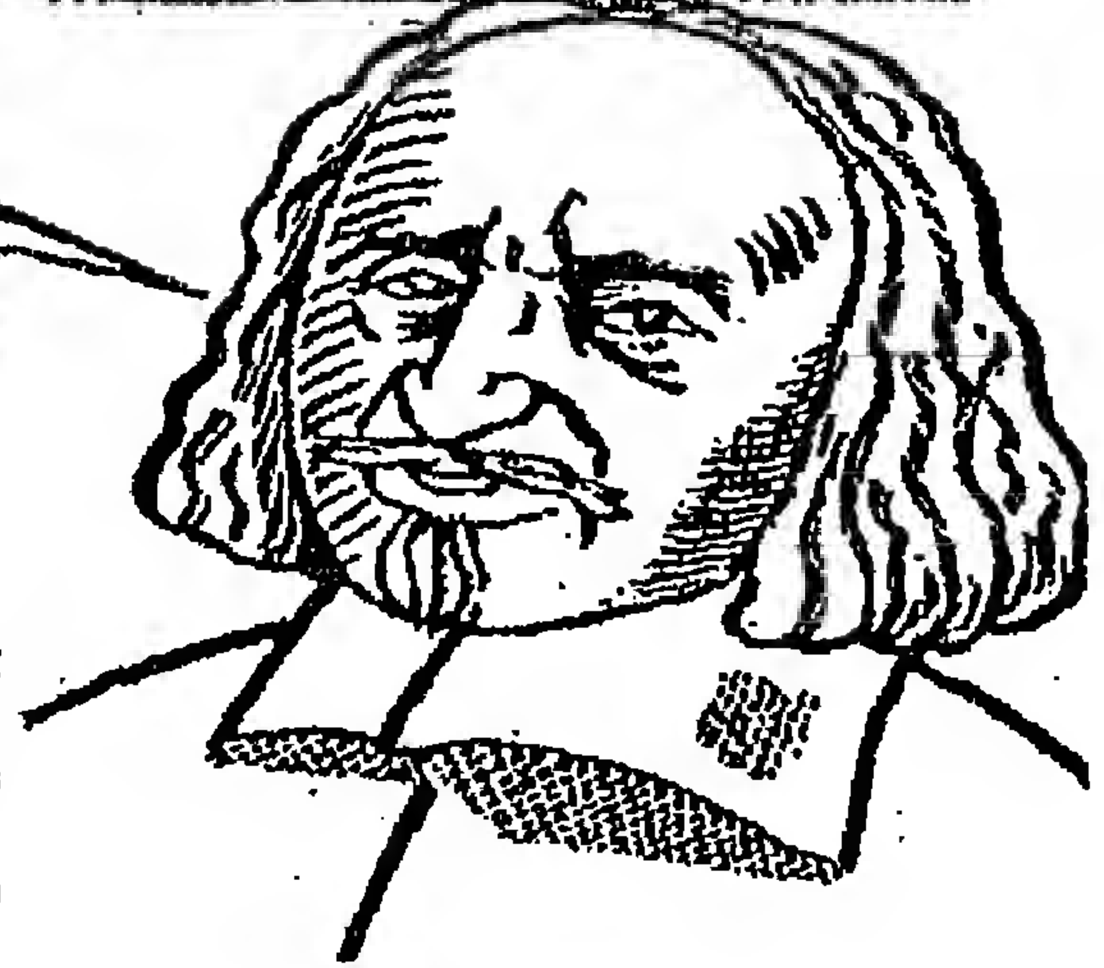
(١) اللوياثان أو التنين كلمة عبرية تعنى الملتوى أو الملتف، وقد وردت كثيراً فى أسفار العهد القديم لاسيما سفر أيوب بمعنى الحيوان المائى الضخم الذى يلتهم جميع الحيوانات الأخرى - ويقصد بها هوبز سيطرة الدولة على جميع رعاياها (المترجم).

نظرية العقد الاجتماعي:

ويعتقد هوبز أن الأفراد الأنانيين لكي يهربوا من أن يقتلوا في فراشهم، فإنهم يقومون بمحاولة يائسة، للدخول في «عقد اجتماعي» بعضهم مع البعض الآخر. غير أن العقد بين أفراد قساة لابد بالضرورة أن يدعمه عقد ثان «لنظام الحكم» يسمح للحكومة بمعاقبة أولئك الذين ينتهكون العقد الأول.



الحكومات ذات السيادة مسألة حيوية للمحافظة على الحياة البشرية، والقيم المتحضرة. أما الأخلاق فهي ليست سوى اتفاق ساخر بين أوغاد (١)



الأخلاق هي نفسها طاعة القانون . وليس ذلك تفسيراً يشبع لنا كجنس بشرى لكن هوبز، على الأقل، يشجع اهتماماً جديداً بالطبيعة البشرية، واعتقاداً بأن الحكومات ليس لها الحق في أن تحكم الناس إلا عن طريق العقد.

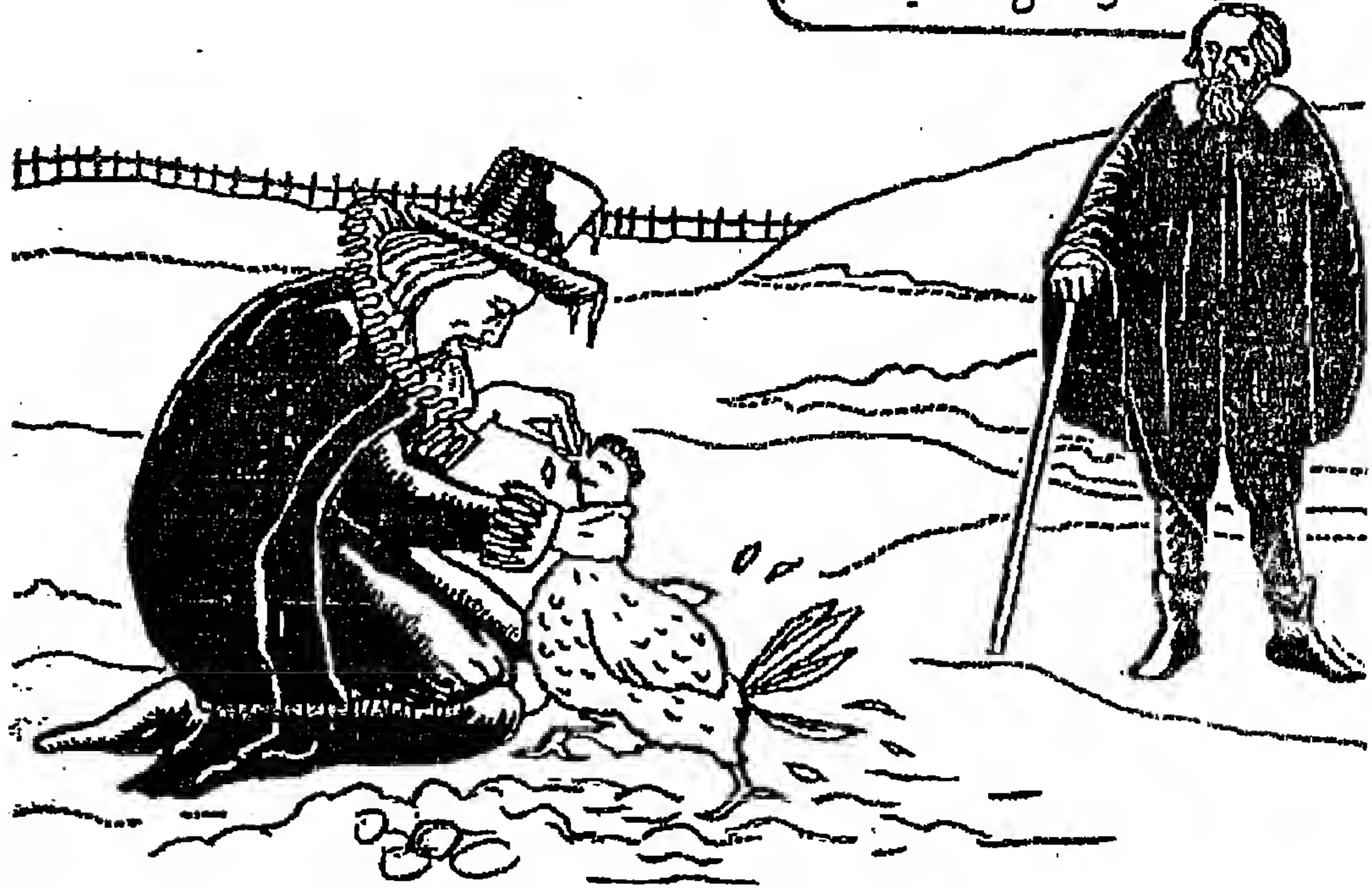
---

(١) الأنانية السيكولوجية التي تفسر الأخلاق عند هوبز ليست سوى تفسير واحد ـ وقد أشاعه بصفة خاصة الفيلسوف الإنجليزي جوزيف بطلر – عن الأخلاق عند هوبز. وهناك تفسيرات أخرى كثيرة بعضها يقارن بين الأخلاق عند هوبز والأخلاق عند كانط، راجع كتابنا «توماس هوبز فيلسوف العقلانية». (المترجم).

فلسفة العلم عند بيكون :

كان فرانسيس بيكون (١٥٦١ ـ ١٦٢٦) نفسه سياسياً إنجليزياً حاذقاً، لكنه كفيلسوف كان أشد اهتماماً بالعلوم الجديدة، وما نستطيع إيجازه، فقد كان أول مَنْ قال «المعرفة قوة» ولم يقم هو نفسه برأيه مكتشفات علمية، لكنه اهتم اهتماماً فلسفياً بالمناهج العلمية الجديدة للملاحظة التجريبية، وبعملية التجريب، والاستقراء التى يستخدمها العلماء من أمثال جاليلو (١٥٦٤ ـ ١٦٤٢)، وقد كان بيكون متشككاً جداً بالنسبة لنظرية أرسطو فى «العلل الغائية».





كانت هوايته المفضلة البحث العلمى، وفى النهاية قتله هذا البحث العلمى. فقد مات بالتهاب رئوى بسبب اعتياده الخروج فى فصل الشتاء القارص لكى يحنط دجاجة عن طريق الثلج؛ فقد أراد أن يعرف ما إذا كان الجو البارد يحافظ عليها.

أصول الفلسفة الحديثة :

يقال عادة إن الفلسفة الحديثة تبدأ بـ «رينيه ديكارت» (١٥٩٦ ـ ١٦٥٠) الفيلسوف وعالم الرياضة الفرنسي الذي أصرّ على استقلال إرادته الفردية ورفض قبول الإجابات الفلسفية المعتدلة. ولقد بحث الأعمال الداخلية للعقل من حيث علاقاتها بالعالم الخارجي وقد شدد على الفرق بين الادراك الحسي والتفكير.

وكان منهجه في الشك النسقي يعتمد على الاستبطان والسيرة الذاتية، لكنه كان أيضاً موضوعياً ومنطقياً بإصرار.



أعجب ديكارت إعجاباً شديداً بما تستطيع الرياضيات إنجازه في علوم مثل علم الفلك. وكتب معظم مؤلفاته في جو هولندا البروتستانتية الهادئ المتسامح.

الشك العلمى :

كان كتاب ديكارت «مقال عن المنهج» (عام ١٦٣٧) يسعى إلى اكتشاف نوع جديد من المعرفة العلمية باتباع بضعة قواعد إجرائية بسيطة. وفى كتابه «تأملات فى الفلسفة الأولى» (عام ١٦٤١) تساءل عما إذا كان نوع المعرفة التى نستطيع أن نصل إليها يمكن أن يكون يقينياً. ولقد وجد، باتباع وسيلة الشك المنهج الجذرى، أنه يستطيع أن يهدم معتقداته فى كل شىء.



حتى أفكاره المجردة يمكن أن تكون خطأ أو وهماً، فقد يكون هناك شيطان غير مرئى يوسوس له بالظن أنه فى حالة يقظة، وأنه يقوم بعمليات رياضية دقيقة فى الوقت الذى يكون فيه نائماً.

أنا أفكر ، إذن ، أنا موجود :

الشك الديكارتي تصاعدي ولا يرحم، فقد ذهب ديكارت إلى أنه ليس ثمة معرفة يمكن أن تكون مضمونة. فهو لايستطيع حتى أن يتأكد أن جسمه حقيقي، لكنه يستطيع أن يكون على يقين من أن أفكاره موجودة، والشك ضرب من التفكير، ومن ثم فإن محاولة الشك في أنك تفكر محاولة يائسة. وبهذا الاستبصار اكتشف ديكارت «الكوجيتوCogito الشهير (١).

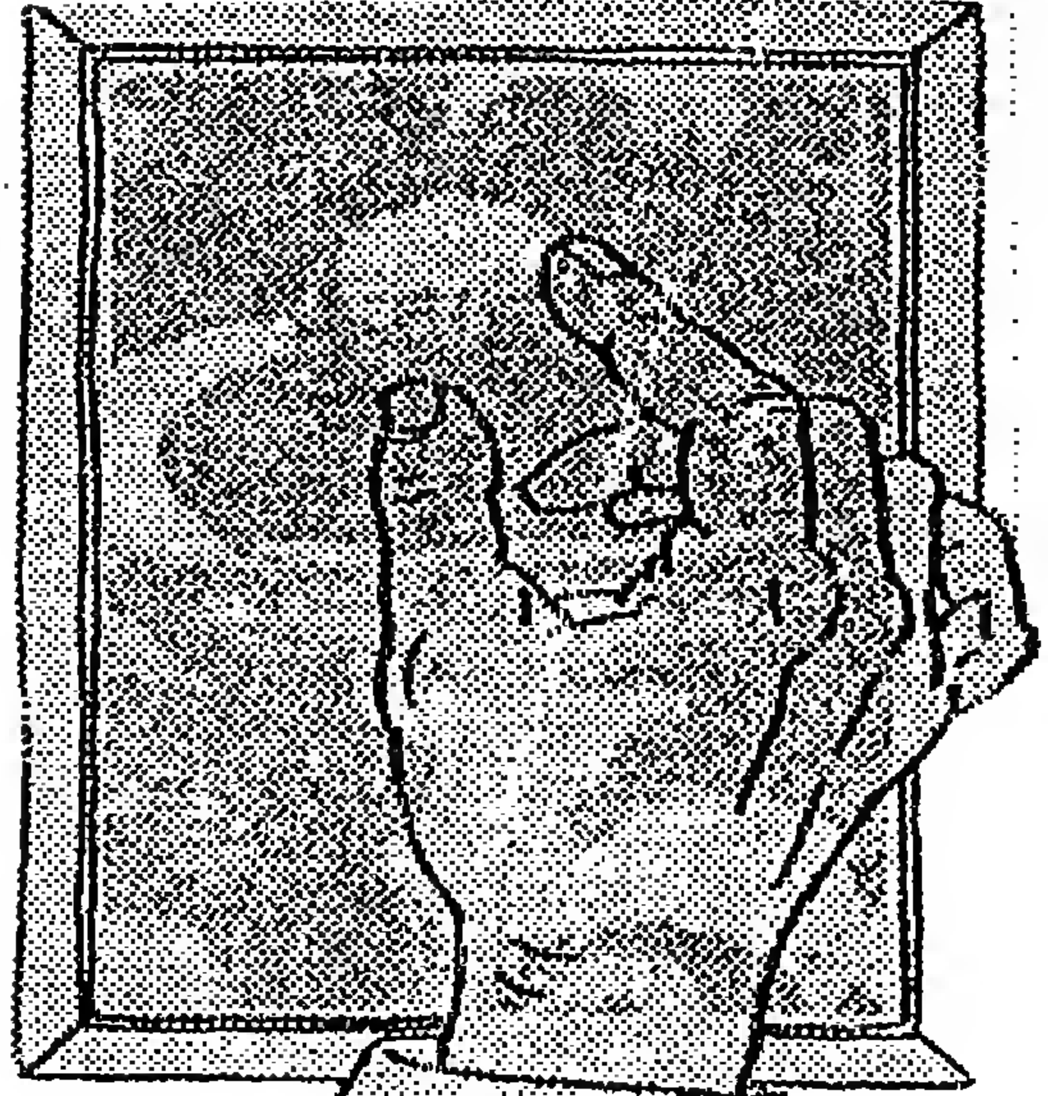


بهذا التقدم المفاجئ فى المعرفة وصل ديكارت إلى البرهنة على أن البشر موجودات ثنائية. الأذهان الروحية أو الأنفس التى تسكن أجساماً مادية. فالأجسام أشبه بالآلات وهى فى النهاية تفنى، لكن الأنفس خالدة. على الرغم من أنه ليس واضحاً تماماً كيف يتفاعل الاثنان ويؤثر أحدهما فى الآخر.

---

(١) كلمة الكوجتيو Cogito هى اختصار للعبارة اللاتينية الشهيرة «أنا أفكر، إذن، أنا موجود .. Cogito, Ergo, Sum .. (المترجم).

الأفكار الواضحة والمتميزة :



اعتقد ديكارت أن الله لابد أن يضمن التفكير العقلى المجرد كالأفكار الواضحة والمتميزة مثل الكوجيتو الأصلى نفسه. وهذا يعنى أن تفكيرنا الرياضى «الواضح» عن العالم لابد أن يكون صحيحاً، لكن تجاربنا الحسية عنه هى كلها ذاتية ومعيبة .

وهكذا فإن النزعة الشكلية عند ديكارت هى ضرب من اللعبة الفلسفية التى يستخدمها لأقامة ضروب من المعرفة اليقينية.

هناك مشكلات عديدة تواجه الطريق الذاتى عند ديكارت للوصول إلى يقين ذاتى أو شخصى، إذ يبدو غريباً أن نقول: إن حواسنا تخدعنا، إننا نعرف فحسب أن العصا المكسورة فى الماء مستقيمة؛ لأن أعيننا تخبرنا بذلك. ويبدو غريباً أيضاً أن نقول إننا نعتمد على الله كضامن لليقين الرياضى.

تراث ديكارت :

يبدو تفكير ديكارت الانعزالى، خاصاً، ولايمكن تجنبه لكنه لايزال مؤلفاً من كلمات مع مجموعة من قواعد النحو وخلفها تاريخ ثقافى كامل. وربما كان أى مطلب إنسانى عن يقين موضوعى غير انسانى تماماً هو نفسه مطلب يصعب تصوره. ولايزال الفضل يرجع إلى ديكارت فى أن الفلاسفة المتأخرين ارتبكوا فى مجموعة كاملة من الاسئلة ...



كما زودتنا فلسفة ديكارت أيضاً باحترام جديد للاعتقاد بأن المعرفة الحقة لايمكن أن تستمد من مصدر آخر غير العقل، مع تأكيد مصاحب أن المعرفة التجريبية من الدرجة الثانية؛ وهكذا أثار النقاش الفلسفى الذى استمر خلال المائة سنة التالية وأكثر.

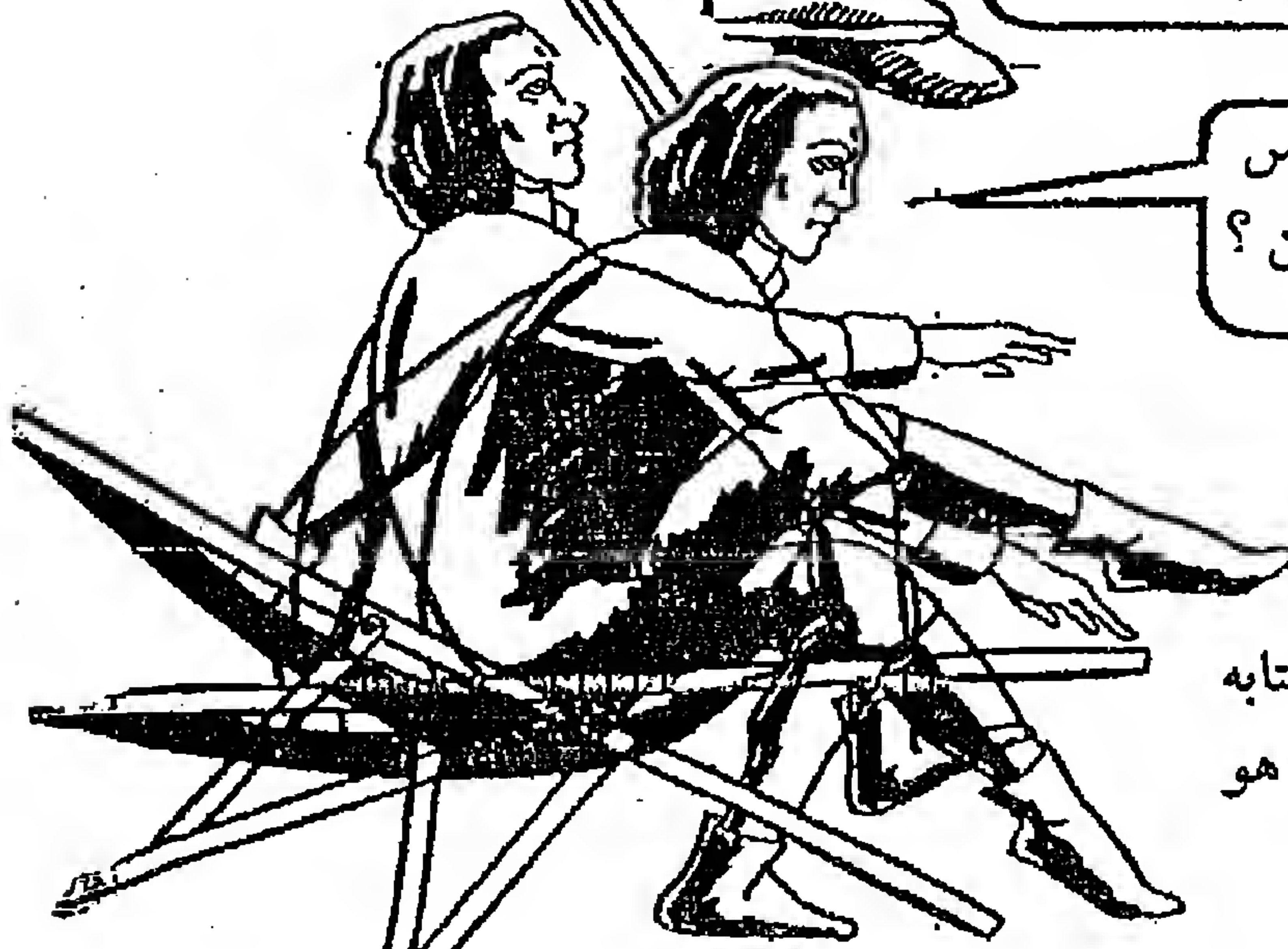
أسئلة اسبنوزا :



باروخ اسبنوزا (١٦٣٢ ـ ١٦٧٧) فيلسوف هولندى يهودى الأصل، عاش مثل ديكارت حياة منعزلة. وهو بوصفه فيلسوفاً حراً فقد طرد من جماعته اليهودية. وكان يكسب قوته من صقل العدسات، وهى مهنة اضرت فى النهاية برئته ثم قضت عليه.



ولقد حيرت اسبنوزا مشكلة «الجوهر»، فإذا كان هناك كما ذهب ديكارت جوهران من الجواهر المكتملة بذاتها تماماً ـ الجوهر الذهنى والجوهر المادى ـ فكيف يمكن لهما أن يؤثر أحدهما فى الآخر!!



وكان جواب اسبنوزا فى كتابه «الأخلاق» (عام ١٦٧٧) هو رفض ثنائية ديكارت.

واحدية اسبنوزا :

استخدم اسبنوزا منهج الهندسة الاستنباطى للبرهنة على أنه لايوجد سوى جوهر واحد هو الله، الذى يوجد فيه كل شىء آخر بوصفه حالاً Mode. وبعبارة أخرى هناك نسق واحد للقوانين العلمية يمكن أن نستنبط منه كل شىء فى الطبيعة. ونحن لا نعرف سوى صفتين لا متناهيتين عن الله هما : الفكر (العقل) والامتداد (الجسم) لكنهما معاً حالان للوجود وهما شىء واحد يعبر عنهما بطرق مختلفة. وأى موضوع (حال الامتداد) متحد مع حال الفكر فى هوية واحدة، مثلما يكون ذهن للجسم البشرى. هل يعنى ذلك أن الحجر «يفكر» ؟

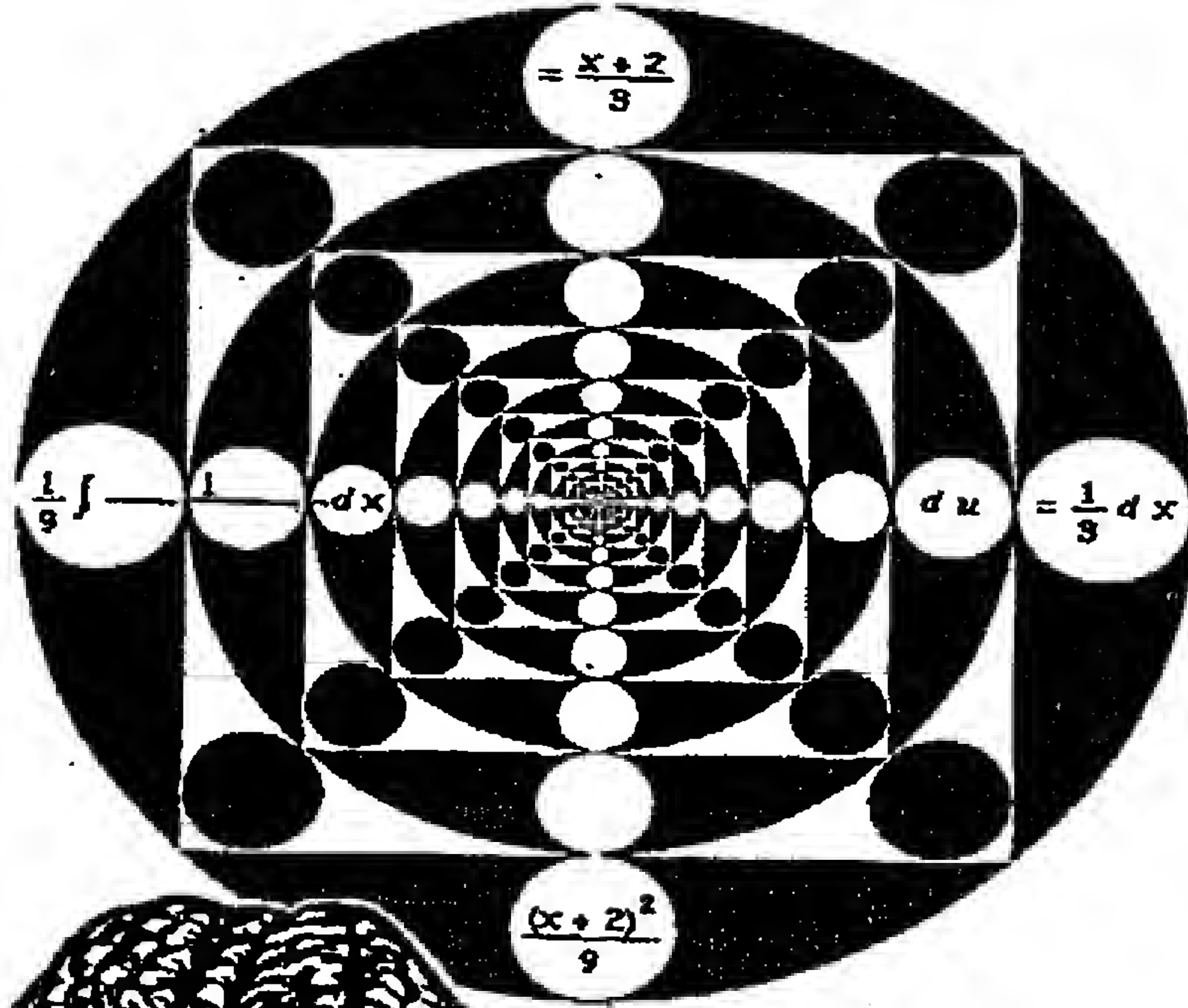


ويشدد اسبنوزا على المنطق فى اللاهوت، ومن ثم فالنظرية العلمية عنده تتفق بأسرها مع كل ما هو هام فى الكتاب المقدس. ولقد اختلطت «واحديته» خطأ مع مذهب وحدة الوجود التى تقول : إن الله هو كل شىء وهى التى أثرّت كثيراً فى الرومانسيين الإنجليز والألمان.

ليبنتز والمونودولوجيا :

كان جوتفريد فلهلم ليبنتز (١٦٤٦ ـ ١٧١٦) فيلسوفاً، وعالم رياضة، ورجل سياسة على نحو لايصدق. ولقد أرسى ـ في منافسه مع سير إسحق نيوتن (١٦٤٢ ـ١٧٢٧) أسس حساب التكامل والتفاضل في بحثه عن «جبر الاستدلال». ولقد انتقد كل من ديكارت واسبنوزا مقدماً مذهبه الميتافيزيقي المعقد في المونودولوجيا عام ١٧١٤.

التصور المركزي عند ليبنتز هو أن فكر الله يتضمن لا نهائية العوالم الممكنة، لكنه يحقق فقط أفضل هذه العوالم. وما يحدد العالم «الأفضل» هو الحد الأدنى من العلل (القوانين أو الوسائل) والحد الأقصى من النتائج (الحالات أو النهايات).





ما الذي يعنيه ليبنتز بلفظ «الموناد» ؟

عليك أن تتخيل الموناد على أنه الجوهر الفرد ...

١ - الذى يتضمن كل تصور متسق معه ولا يتضمن تصوراً آخر.

٢ـ ليس له أجزاء بل «أعراض» للكيفيات الذهنية والميل.

٣ـ ليس ثمة علاقة سببية بين المونادات لكن العلاقة بين حالاتها فحسب.

٤ـ كل موناد هو عالم صغير قائم بذاته يعكس العالم الكبير كله.

٥ـ هذا العالم الممكن موجود، لأن الله خلقه بضرورة أخلاقية وليس بضرورة مادية فزيقية.



المكان فى عالم الموناد نسبى، ويرتبط بالوضع الفردى الذى توجد فيه الأشياء، كما يرتبط الزمان بحالاتها المتتالية.

يُعرف ليبنتز بأنه «أرسطو العالم الحديث» لأنه حاول تقديم آخر نظرية ضخمة لتوحيد الفلسفة الاسكولائية والعقلانية العلمية الجديدة. كما كان ليبنتز يتجادل بشدة مع «نيوتن» بشأن نظريته عن المكان والزمان التى تقول : إنهما مطلقان ولا متناهيان.

ڤولتير ... وعصر التنوير :

أخرج «ليبنتز» نموذجاً ميتافيزيقياً متقناً ليصف البنية الأساسية للكون ... لكن هل هذا النموذج صحيح ؟ وكيف يمكن للمرء أن يقرر ما إذا كان صحيحاً أم لا ؟ ذلك يكشف عن ضعف رئيسي في فلسفته، وفي فلسفة اسبنوزا العقليتين. لقد كانت نظرة ليبنتز عن «أفضل العوالم الممكنة» مسرفة في التفاؤل وهذا ما سخر منه ڤولتير (١٦٩٤ ـ ١٧٧٨) في قصته «كانديد» عام ١٧٥٩. لقد كان ڤولتير بطلاً عظيماً من أبطال عصر التنوير، عصر الراديكالية الاجتماعية، والثقة الجديدة في قوى العقل في مقابل المعتقدات، والخرافة، والطغيان ...



اشترك ڤولتير مع الموسوعي متعدد القدرات ـ دنيس ديدرو (١٧١٣ ـ ١٧٨٤) في جعل الرواد الإنجليز العظام للمذهب التجريبي بيكون، ونيوتن، ولوك ـ أكثر شعبية.

لوك والتجريبية البريطانية :

تبنى «جون لوك» (١٦٣٢ ـ ١٧٠٤) الكثير من أفكار ديكارت عن الذهن والإدراك الحسى، كما كان أيضاً مؤسساً للمذهب التجريبى الذى كان يؤكد أن المعرفة البشرية الأساسية لابد أن تأتى عن طريق الحواس، ولقد ذهب أيضاً إلى أن النظرية الأفلاطونية ـ والديكارتية. عن الأفكار النظرية سخيفة ولا معنى لها، وأن معظم الميتافيزيقا لغو فارغ.



عندئذ فقط يمكن للذهن أن يبدأ فى تجميع أفكاره الجديدة، وأن يفكر مستقلاً عن الحواس.



لقد وافق لوك ديكارت على أن تجربتنا بالعـالم تكون باستمرار غير مـباشرة. فكل ما تنجزه أذهاننا بالفعل هو تمثلات أو تصويرات ذهنية. وهى تعنى أننا لا نستطيع أن تكون لنا معرفة مباشرة «بالجـوهر» الذى صُنع منه العالم. كما وافق لوك أيضاً على أن تجربتنا بشىء ما كالبرتقالة مثلاً، هى تجربة مشوشة.



العـالم عند لوك هو مكان أحـادى اللون، وبلا رائحـة، نخبـره نحن ـ الموجـودات البشرية ـ ملوناً بطريقـة فريدة وعلى نحو فيـه رائحة. وإذا ما كنا على ظهـر كوكب آخر، ومـزودين بأعضاء للحس مخـتلفة، لظل البـرتقال عندئذ مـستـديراً، لكن ربما تغيـرت صفـاته الثانوية تمـاماً. إلا أن لوك لم يشك أبـداً أن هناك عـالمـاً خـارجـيـاً «موجود هناك فى الخارج» يسبب لنا هذه التجارب الذهنية.

مثالية باركلى :

حوّل الأسقف باركلى (١٦٨٥ ـ ١٧٥٣) فلسفة لوك التجريبية إلى فلسفة أكثر ميتافيزيقية ـ تُعرف عادة باسم المثالية. فأمسك بالجوانب اللامنطقية فى تفرقة لوك بين الصفات الأولية والصفات الثانوية، مبرهناً على أنك لا تستطيع الفصل بينهما. فليس من الممكن التميز بين حجم الشيء كصفة أولية وبين لونه كصفة ثانوية. فلماذا إذن نفترض أن بعض التجارب «حقيقية» وواقعية فى حين أن بعضها الآخر «ذهنى» فحسب ؟ وانتهى باركلى إلى أن جميع تجاربنا هى تجارب ذهنية يسببها الله، وأن تجارب الحياة اليومية ليست سوى وهم هائل. وصاغ ذلك فى عبارته الشهيرة «الوجود هو الإدراك Esse est percipi» فأن يكون الشيء موجوداً ، يعنى أن يكون مدركاً. ولحسن الطالع فإن الله يجعل الأوهام متماسكة ومتسقة، لدرجة أن تجاربنا تصل إلينا على شكل «حزم».



وأحد مضامين ذلك هو أن الأشياء عندما لا تكون مدركة فإنها لاتُعَدُّ موجودة. وهى فكرة يصعب جداً الإيمان بها، غير أن الفلاسفة كانوا مغرمين بها، لأنه يستحيل دحضها فيما يبدو. إذ كَيف يمكن لنا أن نتسلق خارج حواسنا لكى ندحض ما يقوله باركلى ؟



ومع ذلك فالنظرية المثالية (التى تقول: إن «الأفكار» هى وحدها الموجودة) عُرضة لنصل أوكام ـ فافتراض أن العالم الخارجى هو فى الواقع الذى يسبب تجاربنا، بدلاً من إله مشغول إلى أقصى حد، سوف يكون تفسيراً أبسط.

هيوم ونزعة الشك التجريبى :

كان ديفيد هيوم (١٧١١ ـ ١٧٧٦) الشخصية الرئيسية فى الفلسفة الأسكتلندية فى عصر التنوير، يعرف الفلسفات الفرنسية الرائدة، كما كان ملحداً ينتقد بقسوة حجج اللاهوت التقليدى التى تزعم «البرهنة» على وجود الله، كما كان أيضاً بوصفه فيلسوفاً تجريبياً ملتزماً ـ شاكاً إلى أقصى حد فيما يقرره الفلاسفة العقليون عن قوى العقل البشرى ومداها. وهو مثل باركلى ـ كسرة ضئيلة من فيلسوف. لأن كثيراً من أفكاره كانت فنية لكنها هامة للفلسفة الحديثة.

يعترف هيوم بضعف الاستقراء كمصدر للمعرفة معارضاً التجريبيين من أمثال بيكون الذى اعتقد أن الاستقراء هو أساس يعتمد عليه فى العلم كله.



إذا كان جميع البجع الذى لاحظته ملاحظة شخصية، أبيض اللون، فإن من المحتمل جداً – من الناحية العلمية ـ أن يكون جميع البجع فى العالم أبيض اللون، إلى أن تزور استراليا وترى بجعاً أسود، فماذا يحدث عندئذ ؟

ويشير هيوم فحسب إلى أن جميع المكتشفات العلمية التى تقوم على الملاحظة والاستقراء لابد أن تظل تخمينية ومؤقتة. فالاستقراء لايمكن أبداً أن يقدّم لك اليقين الذى يقدمه المنطق.

مشكلة السببية :

كان هيوم أول فيلسوف يوضح ما هي السببية ؟ ففلاسفة العصور الوسطى من أمثال القديس توما الأكويني كان لديهم إيمان راسخ في يقين السببية ـ فهي تبرهن على وجود الله. ولقد حلل هيوم مفهوم «السبب»، ووجد أنه، في الواقع، ليس أكثر من إيمان بشري يقوم على أساس التجارب الماضية. فكل إنسان يميل إلى الاعتقاد بأن لكل حادثة سبباً.



فهي كلها تقوم على أساس استقراء ملاحظاتنا للآلات ، والنباتات، والكواكب ـ في الماضي. لكن لا شيء منها له أيّ يقين منطقي.

ويعتقد هيوم أيضاً أنه ليس من الممكن البرهنة على المعتقدات الأخلاقية، فمفهوم «الشر» ليس شيئاً يمكن رؤيته. إنك تستطيع أن تبرهن على وقائع مثل «سقراط فان» بشرط أن تعرف أن جميع البشر فانون، وأن سقراط إنسان.

الشك الأخلاقى :



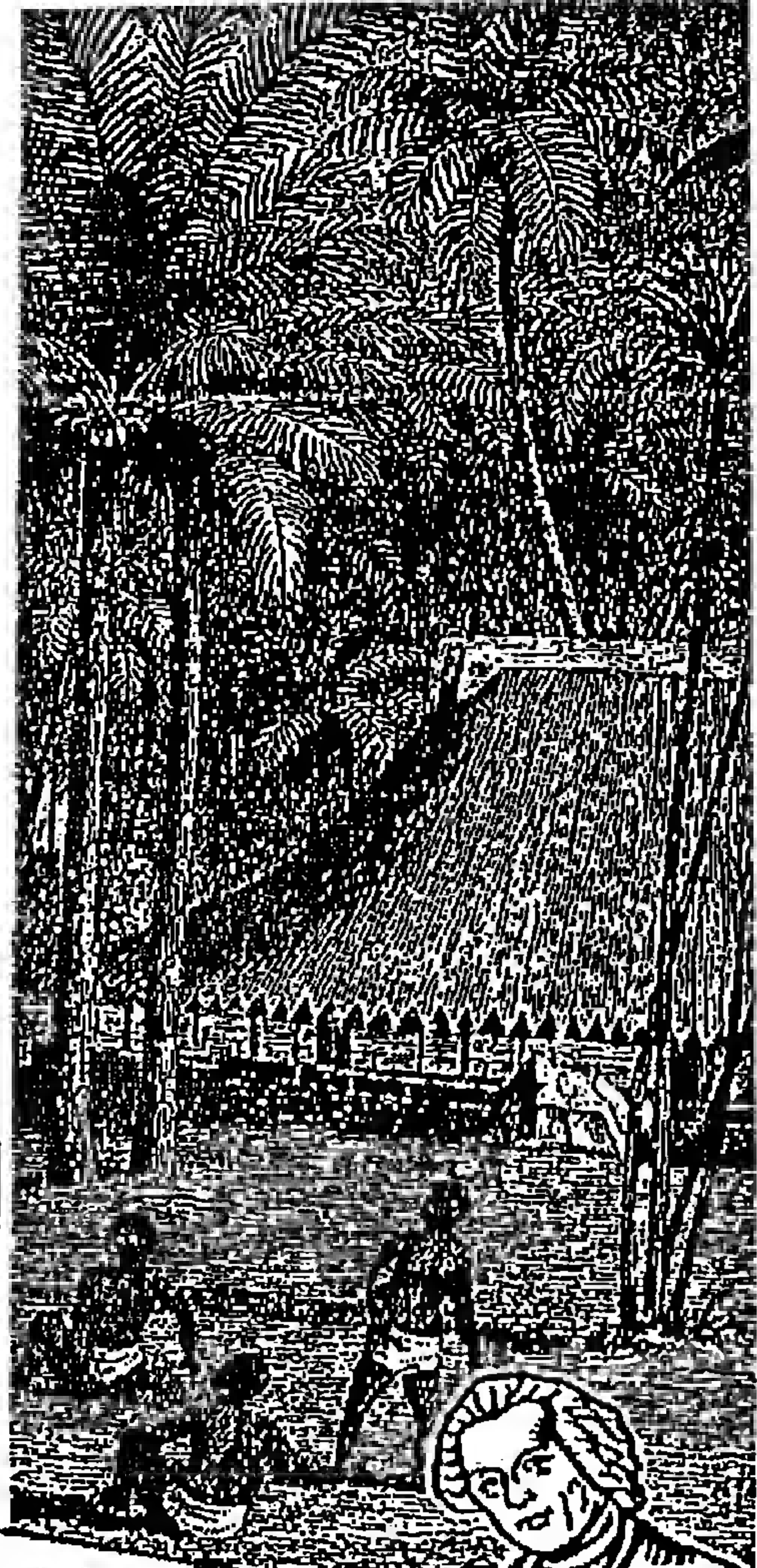
تسمى وجهة نظر هيوم فى فلسفة الأخلاق، أحياناً، «بالمذهب الذاتى» وذلك يعنى الإيمان بأن القضايا الأخلاقية مثل «هتلر كان شراً» تشير فحسب إلى مشاعر ذاتية لشخص ما (فهى تعنى : «أننى لا أحب هتلر»).

ويعتقد هيوم أنه لا توجد بالفعل معتقدات بشرية يمكن «البرهنة» عليها. وأن العقل قد بولغ جداً فى تقديره. وعلى الرغم من أنه كان فيلسوفاً راديكالياً، فقد كانت له معتقدات شخصية محافظة أدت به إلى القول بأن الموجودات البشرية يمكن فقط أن تكون راضية لو أنها اعتمدت على المشاعر الطبيعية بين بعضها البعض، واحترمت جميع التقاليد الاجتماعية.

ولقد كان لدى هيوم أيضاً شكوك مزعجة حول وجود النفس أو الذات، بسبب عدم إمكان اكتشافها « ... إننى إذا ما أوغلت داخلاً إلى ما أسميه «نفسى»، وجدتنى دائماً أعثر على هذا الإدراك الجزئى أو ذاك، لكننى لا أستطيع أبداً أن أمسك بـ «نفسى» فى أى وقت بغير إدراك ما ... ».

روسو وحالة البراءة البدائية :

كان فولتير معجباً كثيراً بكتابات «لوك» السياسية عن «الحقوق الطبيعية». فقد أكد لوك أن للأفراد بعض الحقوق التى لا يمكن التنازل عنها مثل : حق الملكية، وحق الحرية : حرية الكلام وحرية العبادة بل حتى حق التمرد ضد الحكومات والقوانين الظالمة. لكن كان جان جاك روسو (١٧١٢ـ١٧٧٨) الفيلسوف السويسرى الرومانسى هو أعظم مفكر سياسى من حيث التأثير فى نهاية القرن الثامن عشر. وقد رفض روسو نظرية هوبز فى أن الطبيعة البشرية شريرة بالفطرة.





إن الحاجات الصناعية تثير ألواناً من الجشع الصناعى. وهذا هو السبب ـ فى رأيه ـ فى أن الموجودات التى تسبق التنشئة الاجتماعية كالأطفال وقبائل الهمج هم أسمى من الناحية الأخلاقية. إن أسطورة «العودة إلى الطبيعة» هى التى أثرت فى الحركة الثقافية المعروفة باسم الرومانسية.

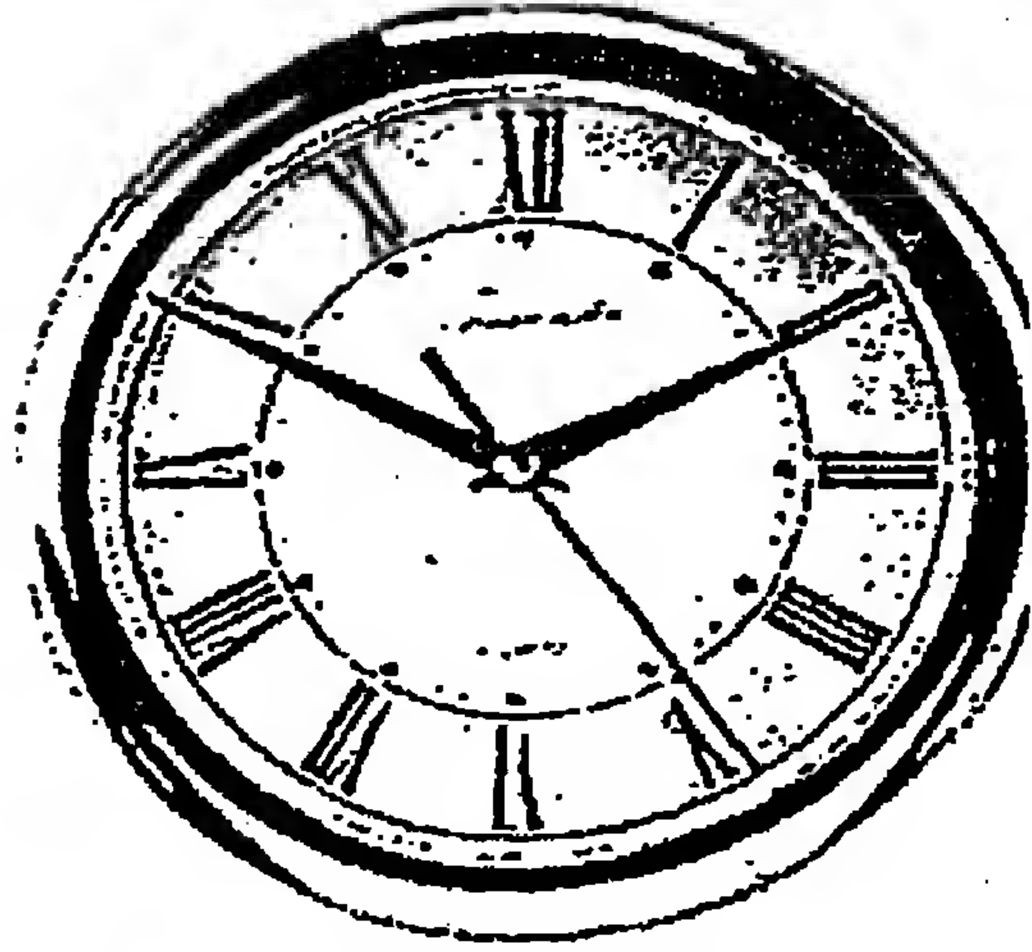
الإرادة العامة :

ويعتقد روسو ـ على نحو ينذر بالخطر أكثر ـ أن قوانين المجتمع ينبغى أن تكون تعبيراً عن «الإرادة العامة» التى هى دائماً على صواب. وليس من الواضح كيف نقرر ذلك، ومتى يمكن أن يفرض بالقوة ولسوء الطالع فإن المواقف الثورية تفرز باستمرار مثاليين ليس لديهم رحمة وانتهازيين على استعداد لأن يعلنوا أنفسهم كتجسيدات شخصية لهذا الكيان المجرد الذى يفرضونه عنوة على الآخرين.



استجابة كانط لهيوم :

كان إمانويل كانط (١٧٢٤ـ١٨٠٤) أعزب شديد الدقة فى عاداته المتتظمة لدرجة أن مواطنى مدينة كونجسبرج كانوا يضبطون ساعاتهم على نزهاته اليومية الروتينية. وكان خادمه الأمين «لامبه» يتجه دائماً وهو يحمل مظلة (تحسباً للجو). لقد قال كانط: «أن قراءته لهيوم هى التى أيقظته من سباته العقلى الدجماطيقى». لكنه كان يختلف مع هيوم فى تقريره أننا نؤمن بالسببية لأننا تعلمنا من تجارب الماضى التى عرفناها عن العالم.





البشرية ترى «السببية» فى العالم، لأنها مركبّة على هذا النحو. وكان أول فيلسوف يبيّن أنه لا العقليين ولا التجريبيين كانوا على حق تماماً.

البنية الذهنية تسبق التجربة :

بيّن كانط فى كتابه «نقد العقل الخالص» عام ١٧٨١ كيف أن محاولات استخدام العقل لإقامة «حقائق» ميتافيزيقية تؤدى دائماً إلى متناقضات مستحيلة، ثم راح يدلل على كيفية اكتسابنا للمعرفة عن العالم. فالذهن البشرى إيجابى نشط وليس مستقبلاً بطريقة سلبية للمعلومات. إننا عندما ننظر إلى العالم فإننا «نكوّنه» لكى نجعله معقولاً. والواقع أن بعض المفاهيم التى نطبقها فى تجربتنا الحاضرة قد أتت من تجاربنا الماضية، لكن المفاهيم الأكثر أهمية هى التى تسبق التجربة فهى قبلية Apriori أى قبل تجاربنا.



لقد ادعى هيوم أننا نبنى بالتدريج جهازنا التصورى من تجاربنا. ويرد كانط قائلاً : إنه ما لم يكن لدينا ضرب من الجهاز التصورى الذهنى نبدأ به، فلن تكون التجارب ممكنة على الإطلاق. ومن هنا كان كانط مثالياً راقياً يقول : «الأفكار بدون مضمون فارغة، والحدوس بدون تصورات عمياء».

عالم الظاهر وعالم الشيء في ذاته :

وكل تجربة من تجاربنا لابد أن تمر أساساً بصورتي «الزمان والمكان» ومن هنا فإن تجاربنا عن العالم هي إلى حد ما من خلقنا الخاص. فنحن ننظمها بأنفسنا، ومع ذلك فهناك حدود دقيقة لمَ نخبره وكيف نخبره. فليس في استطاعتنا أن نختار «المادة» التي تزودنا بها أعضاء الحس عندنا، وليس في استطاعتنا أن نغير الطريقة التي تستنبط بها عقولنا.



وينتهي كانط إلى أن العلم البشري يدرس عالم «الظاهر» (أي الأشياء على نحو ما تظهر) ويظل الدين في عالم الشيء ذاته الذي لايمكن معرفته، (الأشياء على نحو ما هي عليه حقيقة) ومن ثم فليس ثمة ما يدعو العلم والدين إلى أن يصارع كل منهما الآخر أو يصطدم به. لكن إذا كان كل ما يمكن أن نخبره هو عالم الظاهر، فكيف يمكن لكانط أن يكون على هذا القدر من الثقة في وجود عالم الشيء في ذاته ؟

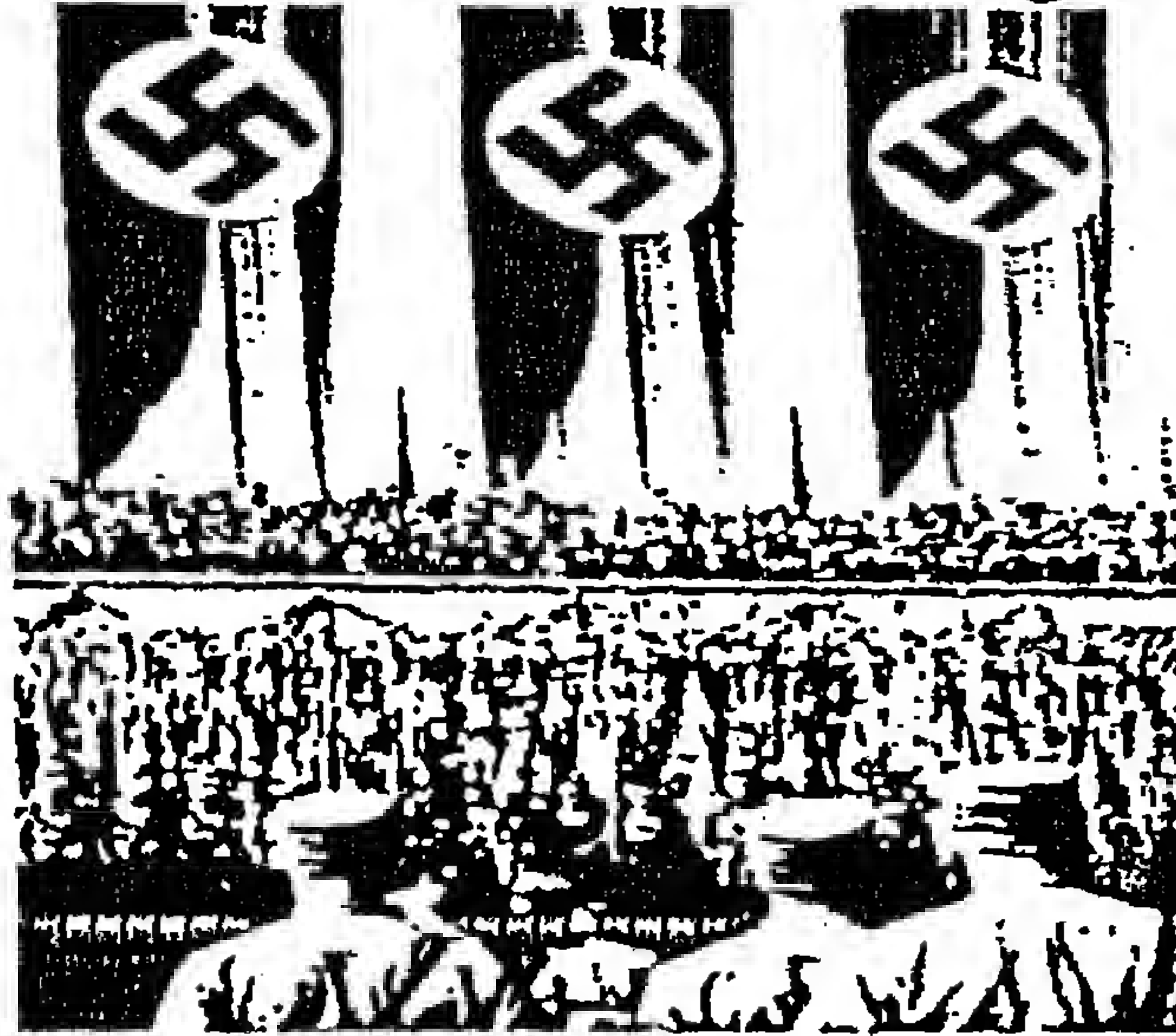
الأمر المطلق :

يزعم كانط أننا نستطيع - على خلاف الأشياء المادية - أن نفلت من سببية عالم الظاهر، إذ لابد لنا أن تكون إرادتنا حرة في الاختيار حتى نكون موجودات أخلاقية : «ينبغى تتضمن يستطيع».

إذا أردنا أن نكون فضلاء، فلابد لنا من تأدية الواجب وتجاهل الميول والرغبات. فالشخص الأخلاقى ليس هو مَنْ يفعل ما يأتى على نحو طبيعى ومألوف بل ما يتضمن صراعاً داخلياً مع الرغبات الشريرة. ونحن نستطيع باستخدام العقل أن تكتشف ما هو واجبنا - أعنى بإطاعة مجموعة من القواعد الملزمة : أو الأوامر المطلقة.

وتسير القاعدة على النحو التالى إذا قررنا الكذب، فإن علينا أن نتخيل ماذا يمكن أن يحدث لو أن كل إنسان راح يكذب.

فالكذب نفسه يمكن أن يكون عادياً ومفهوم الصدق (بل الكذب نفسه !) لابد أن يختفى. كما لابد أن تختفى اللغة، والمنطق، وكل ألوان الاتصال البشرى فى كابوس من الفراغ اللامنطقى.



وهكذا نجد أن الكذب لا عقلى، ومن ثم فهو الخطأ. ويؤمن كانط بالله، ويعتقد أن الدين يمكن الناس العاديين من أن يجعلوا العالم الذى كثيراً ما يبدو غير أخلاقى - عالماً معقولاً. لكن ربما كان فى الأخلاق ما هو أكثر من الطاعة المستمرة لمجموعة من القواعد الأخلاقية الملزمة، بغض النظر عن الظروف الفردية. ويمكن أن نفكر فى مناسبات قد يكون الكذب فيها سلوكاً أخلاقياً بالفعل [1].

---

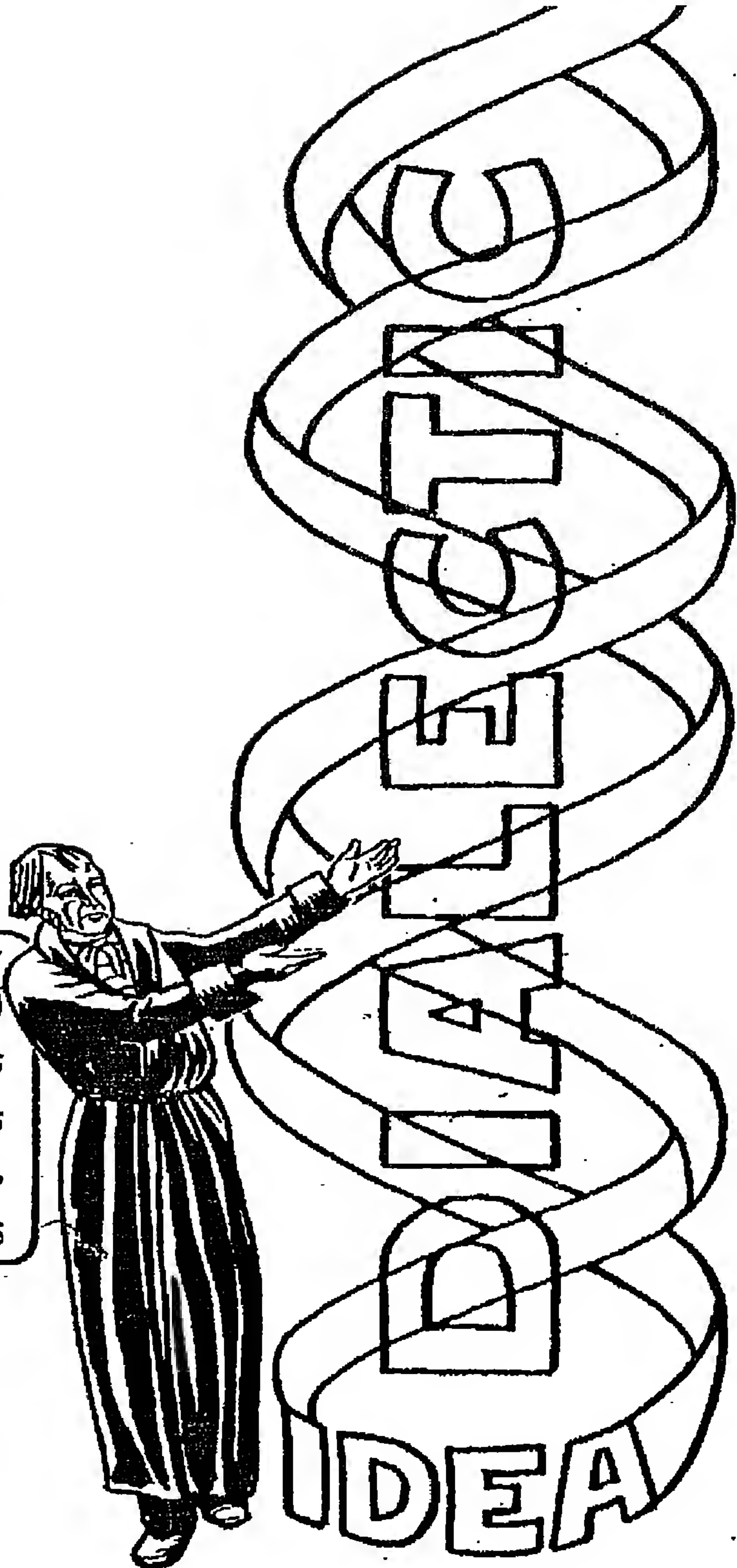
(١) ربما يشير المؤلف إلى حالات «يكذب» فيها الأسير بحيث يضلل الأعداء عن مكان زملائه من الجنود أو عددهم أو قوتهم القتالية ... إلخ. أو عندما تكذب على مجنون يجرى بمسدس ليقتل شخصاً فتخبره بأنه سار فى طريق مخالف للطريق الذى هرب فيه ... الخ وهو ما يسمى «بالكذب الأبيض» غير أن ذلك خطأ شائع فليس ذلك «كذباً» بل هو «تعليق» لفضيلة الصدق فى سبيل غاية أخلاقية أعلى، هى المحافظة على حياة إنسان. راجع مقالنا «الكذب الأبيض» فى كتابنا «أفكار ومواقف» مكتبة مدبولى، بالقاهرة عام ١٩٩٦ (المترجم).

جدل هيجل :

كان جورج فلهلم فردرش هيجل (١٧٧٠-١٨٣١) يؤمن بثقة مبالغ فيها أن فلسفته النسقية الفريدة لابد أن تكشف عن الحقائق النهائية عن الواقع كله وعن التاريخ البشرى بأسره.

الفلسفة الهيجلية مذهب شامل بطريقة مثيرة كتب برطانة هيجلية مجردة جعلت من الصعب فهمه.

لقد كان الفلاسفة يعتقدون - قبل أن يظهر هيجل على المسرح - أن أرسطو اكتشف المنطق وأن ذلك حق.



الأفكار تنمو، وتتحرك تدريجياً نحو إدراك أفضل للواقع فى مسار يسميه هيجل بالجدل.

المنطق الجدلى :

التاريخ باسمرار صراع بين مفاهيم دينامية مختلفة تزعم أنها تصور الواقع بدقة. غير أن أى مفهوم أو قضية تسير آليا ضده أو نقيضه ، يحدث بينهما صراع إلى أن يظهر مركب أعلى أكثر حقيقة فى نهاية الصراع.



وهذا تفسير تطورى ودينى للحضارة وللروح البشرى، فهما معاً يسيران فى مراحل حتى يتحقق «الوعى المطلق»، والانسجام الاجتماعى. ويعتقد هيجل أن دراسة التاريخ سوف تكشف فى نهاية المطاف شيئاً شبيهاً بروح الله.

الوعـى البشـرى والمعـرفـة :

وتدور الميتـافيزيقا الهيـجلية حول طبيـعية الفكر ذاته. ويعـتقد هيجل أن الفلسـفة قد أصبح مركزها بالغ الضـيق تدور حول أسئلة تقنية عن المعرفة، وعليـها أن تنظر بعناية أكثر إلى المسار التاريخى للفكر البشرى والثقافة التى أنتجتـه. لقد كان هيجل فيلسوفاً مثالياً مثل كـانط، ولذلك فهـو يتـفق معـه فى أننا لا نخبـر العـالم أبداً على نحـو مباشر من خـلال الحواس، بل فـقط بطريقة التـأمل وهى تُصّفى عن طريق وعـينا، ويذهـب هيجـل حتى إلى أبعد من ذلك.



الوعى البشرى نفسه لا يبقى ثابتاً أبداً بل هو يطور ويُغيِّر مـقولات ومفاهيم جديدة، وهذه المقولات هى التى تحدد كـيف نخـبر العـالم، وهكذا نجـد أن المعـرفة دائـماً من حيـث نسيـجهـا، والنتـيـجـة بـاسـتـمـرار هى مـواقف متصارعة.

المعرفة النسبية والمطلقة :

أى تفسير فلسفى لما هو «موضوعى» كمعارض لما هو «ذاتى» هو تفسير مضلل. فلن يكون الفلاسفة قادرين أبداً على إنتاج شيء مثل «الحقيقة الفلسفية الكاملة»، لأن الأفكار بطبيعتها ذاتها دائمة التغير، والمعرفة هى عملية تاريخية وثقافية دينامية. فهى ليست نتاجاً لازمانياً قائماً «هناك فى الخارج» ينتظر مَنْ يكتشفه. وذلك يجعل هيجل كما لو كان نبياً لما بعد الحداثة، عندما يشدد على أنه لايمكن أن يكون هناك وقائع موضوعية ثابتة أو حقائق فى مسار جدل دائم التغير. لكنه كان يؤمن أن هذه العمليات الجدلية المتغيرة لابد أن تتوجها مرحلة أخيرة تصل فيها الموجودات البشرية إلى المعرفة كما هى فعلاً.

كان لدى هيجل أيضاً طريقة جديدة وعميقة فى التفكير عن الوعى الفردى والحرية الشخصية.



وضعت المجتمعات الشرقية، والفارسية، واليونانية، والرومانية، حدوداً صارمة للحرية الشخصية، ويعتقد هيجل أن المجتمع الجرمانى المسيحى البروتستانتى قد وصل إلى مرحلة تحققت فيها الحرية والفردية الشخصية من خلال تفاعل حقيقى بين الأفراد ومجتمعهم.

الدولة ونهاية التاريخ :

نظر هيجل إلى دولته البروسية الأوتوقراطية على أنها ضرب من «الشخص الأعلى» الذى وصل إلى مرحلة نهائية من التطور، وهو ورفاقه من المواطنين كمجرد جزء صغير من هذا الكيان العضوى الأكبر يستمدون منه هويتهم ووضعهم الأخلاقى.





كان هيجل يؤمن، جاداً، أنه أكمل عمل كانط بإنتاجه لوجهة نظر المعرفة المطلقة التى يمكن منها أن نتنبأ «بنهاية التاريخ»، فلابد لعملياته الجدلية الحتمية أن تنتهى عندما تنكشف فى النهاية الروح الواحدة التى تقود الواقع والعقل البشرى جميعاً. ولابد أن يكون المسار الذى تسير فيه شاقاً والطريق وعراً ؛ لأنه يتضمن صراعاً لايتوقف بين القوى التاريخية الهائلة التى كثيراً ما تكون قاسية لاترحم، ولا أحد ينكر أنه كانت هناك كثيراً من هذه الصراعات فى أوربا منذ عام ١٨٠٧ عندما نشر هيجل كتابه «ظاهريات الروح» لأول مرة، ويبدو الآن من المشكوك فيه ما إذا كان للتاريخ البشرى «مصير» يمكن التنبؤ به. أو غرضاً هيجلياً نهائياً من أى نوع.

تصور شوبنهور للإرادة :

هناك فيلسوف ألمانى آخر معاد للنظريات والمناهج الهيجلية هو أرتو رشوبنهور (١٧٨٨-١٨٦٠) كان يعتقد أن إيمان هيجل بنهاية سعيدة للتاريخ البشرى ليس سوى تشوشات «دجال أحمق غبى» وبوصفه مثالية آخر مقتنعاً، كان أيضاً يتفق مع كانط على أن الموجودات البشرية لايمكن إلا أن تعيش فى عالم الظاهر، غير أنه عند شوبنهور فإن عالم الظاهر هو عالم وهمى، تحكمه الإرادة باستمرار، فالإرادة توجه كل موجود حى بما فى ذلك الموجودات البشرية.



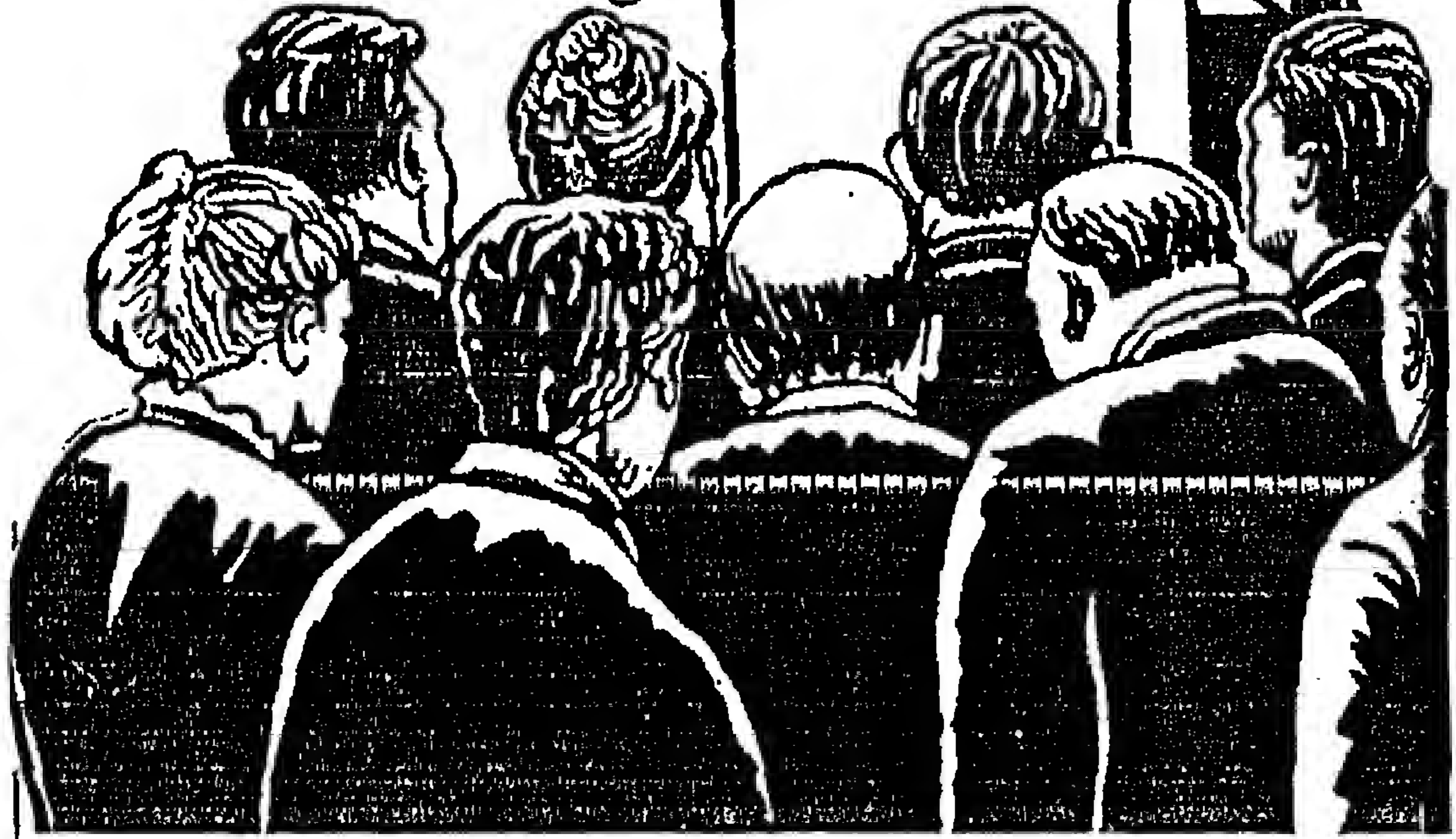
وتحث الموجودات البشرية إلى الإيمان بأن لحياتها الفردية نوعاً من المعنى الأعلى، لكن، ليس هناك فى حياتها أكثر من الاندفاع نحو إشباع رغبات جديدة، ولامندوحة للإرادات الفردية، إذن، من الدخول فى صراع وهذا هو ما يجلب العذاب البشرى.



وإحدى الطرق لتحقيق ذلك هو الإفراط فى النشاط الفنى أو التأمل. وهناك طريقة أخرى هى العيش حياة الزهد وإنكار الذات. وكان شوبنهور أول فيلسوف غربى كبير يتأثر بالبوذية. لقد كان لأفكاره التى أهملت الآن تأثير كبير فى شخصيات مثل الموسيقار «ريتشارد فاجنر» (١٨١٣-١٨٨٣) والفيلسوف الألمانى نيتشه.

نيتشه : ضد المسيح :

على الرغم من أن فردريك نيتشه (١٨٤٤-١٩٠٠) تربى كشخص لوثرى شأن غيره من كثير من الفلاسفة الألمان الآخرين، فإنه أصبح عدواً للمسيحية، رافضاً تماماً للمعتقدات من أى نوع فى عالم «متعالى» أو عالم الشيء في ذاته.



ولقد جعلته ثقافته كعالم لغة كلاسيكى، يرى عالم اليونان القديم أعلى من العالم المسيحى الحديث بما فيه من تعصب دينى وحماس للعذاب السلبى، والخطيئة، والإدانة، السرمدية. ولقد قبَل عالمه اليونانى القديم النشط الخلاّق القدرَ ومجّد واقعة أن العذاب البشرى يمكن أن ينتج حياة نبيلة ومأساوية فى آن معاً.

بمعزل عن الخير والشر :

لقد حاول نيتشه ـ كمعظم الفلاسفة قبله ـ إعادة تعريف الطبيعة البشرية، واعتقد أن من الخطأ التعميم بالنسبة للموجودات البشرية، لأن التعميم يردها إلى «طبيعة مشتركة» زائفة، ولقد تنبأ أن الرأسمالية الحديثة والتقدم التكنولوجي لن ينتجا إلا عالماً برجوازياً من متوسطي القدرات «أناس من منزلة دنيا».



إن الثقافة اليهودية المسيحية تفضل الضعفاء، والعاديين المبتذلين من البشر، في حين أن الإنسان الأعلى يحتاج إلى رفض «أخلاق القطيع» وينظر إلى ما وراء الأفكار التقليدية من الخير والشر متطلعاً إلى شيء أبعد، شيء خلاّق من الناحية الفردية وأكثر راديكالية ـ إنه «إرادة القوة».

وعلى الرغم من أن آراء نيتشه عن الإنسان الأعلى لا علاقة لها بالطبيعة أو بالخصائص العنصرية ـ فإن من المؤكد أنها مرتبطة بنوع الجنس، فهو بغير شك من الذين يميزون بين المرأة والرجل.

التنبؤ بما بعد الحداثة :

النزعة الشكية الراديكالية عند نيتشه لا تقبل أن يكون هناك أى حقائق أخلاقية أو قواعد كلية تقوم على أساس «العقل» - بل الأحكام المبتسرة المعاصرة وحدها التى تلبى حاجات الناس. وكل معرفة تصورية تقوم على أساس التعميمات تحددها أنظمة الأيديولوجيات والتصنيفات، لا مندوحة لها عن أن تمحو الفردية والتفرد. ومعظم مزاعم «الحقائق» الأزلية ليست أكثر من معتقدات مفيدة مؤقتاً تتغير كلما سار التاريخ وتقدم.



ويتنبأ نيتشه بما بعد الحداثة، فهو يتنبأ بفلاسفة من أمثال فجتنشتين، وديريدا من حيث أنه كان أول مَنْ عمد إلى تفكيك المعتقدات بوصفها شراكاً وفخاخاً لغوية (فنحن لن نتخلص أبداً من فكرة الله ما لم نتخلص من النحو). ونظريات فوكو عن المعرفة مدينة على نحو هائل، لأفكار نيتشه عن السلالات وإرادة القوة.

العود الأبدى :

يقترح نيتشه أيضاً «عالماً مرحاً» عن العود الأبدى، وهى فكرة ذهب إليها بعض الفلاسفة السابقين على سقراط من أمثال هيراقليطس الذى كان يقول: إن الزمان دائرى يكرر نفسه مرة بعد أخرى، ولقد كان ذلك هو نقد نيتشه البارع للأمر الأخلاقى المطلق عند كانط، ونظرة شوبنهور المتشائمة عن الرغبة بوصفها سبباً للعذاب. والعود الأبدى هو المعيار الذى نحكم به على قيمة الحياة.



وبهذه الطريقة فإنه لا يحكم على الحياة عن طريق «نهايتها» كما تفعل المسيحية بل إيجابياً على أنها خيار الآن، وفى هذه اللحظة. وفكرة نيتشه عن الخيار الحاضر الذى يؤكد قيمة الوجود جعلته من المبشرين بالوجودية.

كيركجور : الوجودية المؤمنة :

الفيلسوف الدانماركي سرن كيركجور (١٨١٣٠-١٨٥٥)- لايوافق على وجهة نظر كانط في أن الإيمان الديني والأخلاقي يمكن تأسيسهما على العقل. فالإيمان لا معقول تماماً، وغير عقلي على الإطلاق. كما أنه عارض العمليات الجدلية الهيجلية التي يبدو أنها تبتلع الناس، وتتجاهل واقع احتياجاتهم لإصدار قرارات «اما ... أو» الفردية.

لقد انشغل كيركجور بصفة رئيسية بمشكلة الوجود ، ولهذا عُرفت فلسفته بأنها المبشر بالوجودية. إن معظم الناس يتجاهلون في العادة الأسئلة حول معنى حياتهم، ويفضلون الفرار إلى نوع من الروتين الغُفل أو المجهول. وليست تلك حياة طيبة.



قفزة الإيمان :



وذلك يعنى عند كيركجور أن تصبح مسيحياً ملتزماً بأن تقوم «بقفزة الإيمان»، لأن المعتقدات الرئيسية فى المسيحية هى أيضاً لا يمكن معرفتها أساساً. وينتهى كيركجور إلى أنك إما أن تعيش حياة أخلاقية أو حياة جمالية (حسية) أو حياة دينية. ولقد فضل كيركجور الخيار الأخير.



ولقد تحققتُ أن ذلك يعنى أن تعيش حياة «الخوف والرعدة» فى علاقتى الشخصية بالله.

ويصبح المرء مسيحياً فى مواجهة «الريبة الموضوعية» أنه لا برهان على وجود الله، وليس ذلك هو «العالم المسيحى العام» الذى انتقده كيركجور بقسوة فى مجتمعه اللوثرى، فإيمانه تهكمى، مزاحى، انفعالى، وهو يكتب كما يكتب الروائى مستخدماً أسماء مستعارة كثيرة، مناضلاً ضد التفلسف المجرد الجاف.

من المثالية إلى المادية :

ظلت الفلسفة المثالية الألمانية لأكثر من ثمانين عاماً تؤكد أن العالم يتأسس من أفكار، حتى لو كان هناك خلاف حول طبيعة هذه الأفكار، وطبيعة المعرفة البشرية عنها. وكان لودفيج فويرباخ (١٨٠٤-١٨٧٢) الشخصية الرئيسية فى التغير عن طريق لفتة جديدة لمفهوم هيجل عن الاغتراب. فعند هيجل أن الوعى يتقدم بأن يضع اختلافاً متناقضاً داخل ذاته ، ثم يحاول عن طريق استبصار أبعد التغلب على هذا التناقض أو الاغتراب الذاتى. وعلى ذلك فإذا كانت تلك هى الطريقة التى تتقدم بها الروح، فإن خطأ الدين - فى نظر فويرباخ - يصبح عندئذ واضحاً.

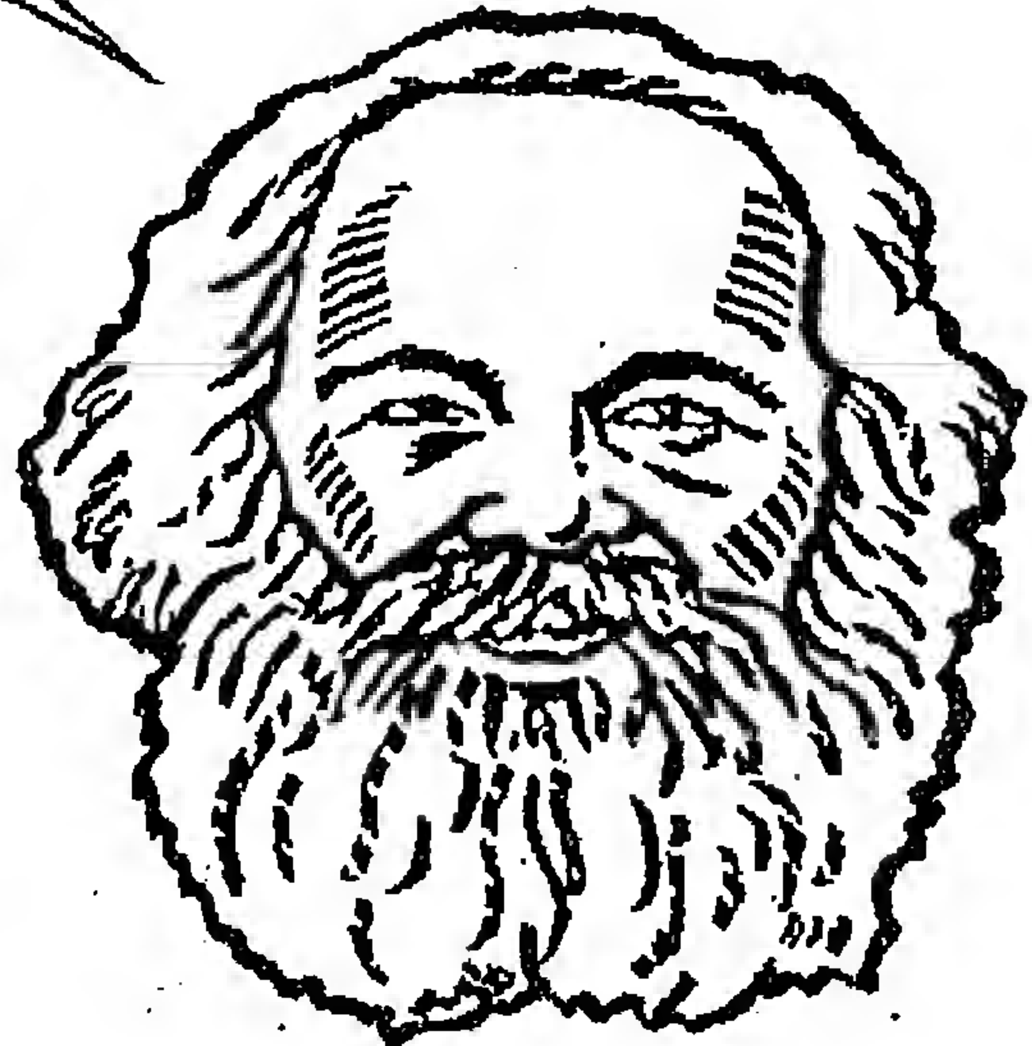


ثم انتقل بعد ذلك من نقد «اليسار الهيجلى» للأوهام الدينية إلى المادية الراديكالية «فأنت تكون ما تأكل» فيما يقول. وذلك يعنى أن الحاجات المادية تأتى أولاً ثم تأتى الأفكار ثانياً. والزواج الذى عقده فويرباخ بين المادية والهيجلية فتح الطريق أمام مار كس.

المادية الجدلية عند ماركس :

بدأ كارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣) كشاب في «اليسار الهيجلي» لكنه طور نموذجاً جديداً من المادية الجدلية للتاريخ. فكانت فلسفته مزيجاً من المثالية الألمانية والاقتصاد السياسي الإنجليزي، والاشتراكية الفرنسية.





الجدل الهيجلي يجعل التاريخ البشري قصة تقدمية تزداد فيها الحريات البشرية، وتتوج بالحرية المطلقة في الدولة البروسية. وهكذا «يقف هيجل على رأسه» في رأي ماركس. وبعبارة أخرى «ليس الوعي هو الذي يحدد الحياة، لكن الحياة هي التي تحدد الوعي».
فالفكر لا يخلق الواقع ولا يستطيع أن يخلقه، لكن الوقائع الاقتصادية هي التي تستطيع أن تحدد كيف يفكر الناس.

التاريخ عند ماركس هو قصة الصراع الجدلى المستمر ليس بين الأفكار الهيجلية المجردة، بل بين جميع الطبقات الواقعية والقوى الاقتصادية. وهذا هو السبب فى أن فلسفته تسمى أحياناً «بالمادية الجدلية».

هذا الصراع التاريخى كان فى الأصل صراعاً بين العبيد وملاكهم، ثم أصبح بعد ذلك بين الأقنان وساداتهم الإقطاعيين. وفى المجتمع الحديث تدور الحرب الاقتصادية الآن بين الطبقة البرجوازية من أصحاب رأس المال ووسائل الإنتاج ـ والبروليتاريا ـ العمال الكادحيين الذين يبيعون عملهم. وهذا الصراع الجدلى لابد أن ينتهى لا محالة بثورة عالمية للعمال تغيِّر شكل المجتمع البشرى والتاريخ بأسره



فلسفة الاقتصاد :

كان ماركس فيلسوفاً اقتصادياً حتمياً يزعم أن جميع الأنشطة والمجتمعات البشرية، بما فى ذلك الدين والفلسفة، قد أنتجها باستمرار – على نحو مطلق – قوى مادية. إن الأساس الاقتصادى فى أى نظام للعلاقات الاقتصادية وقوى الإنتاج سوف تحدده وتدفعه البنية الفوقية للمؤسسات القانونية، والسياسية، والثقافية.

والدور الأول لهذه المؤسسات هو أن تفرز الأيديولوجيا وتعمل على نشرها. حتى تكون الأفكار المسيطرة فى كل عصر هى أفكار الطبقة الحاكمة. وذلك يعنى فى النهاية أن الرأسماليين وضحاياهم معاً سوف يعانون من «الوعى الزائف» – أى عدم القدرة على التعرف على أن هناك استغلالاً من طبقة لطبقة أخرى.

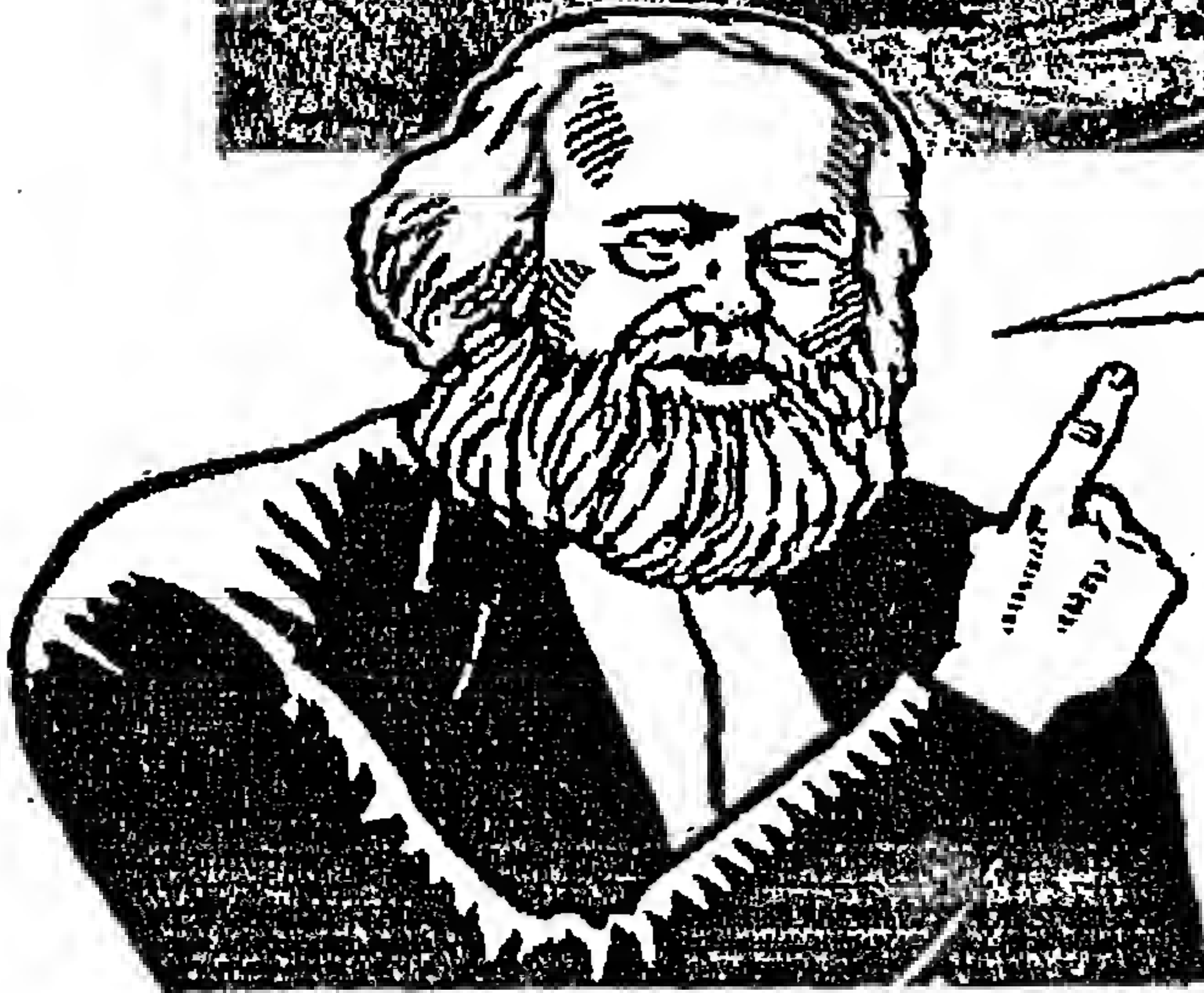


فائض القيمة :

نظرية قيمة العمل قال بها عالم الاقتصاد «ديفيد ريكاردو» (١٧٧٢-١٨٢٣) عندما ذهب إلى أن السلع تستمد قيمتها من ساعات العمل التي بُذلت فيها. لكن ماركس ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك. فعنده أن ذلك يعني أن صاحب رأس المال يستغل القوى العاملة بأن يسرق ساعات العمل الزائدة أو فائض القيمة لكل ما ينتجونه.







العمال هم المنتجون الحقيقيون للثروة، لكنهم يغتربون عما ينتجون - ولايرون أنه ينتمي إليهم فعلاً. «فيتحول عمل الكثيرين ذاته إلى رأس مال للقلة صاحبة الامتياز».

نهاية الرأسمالية :

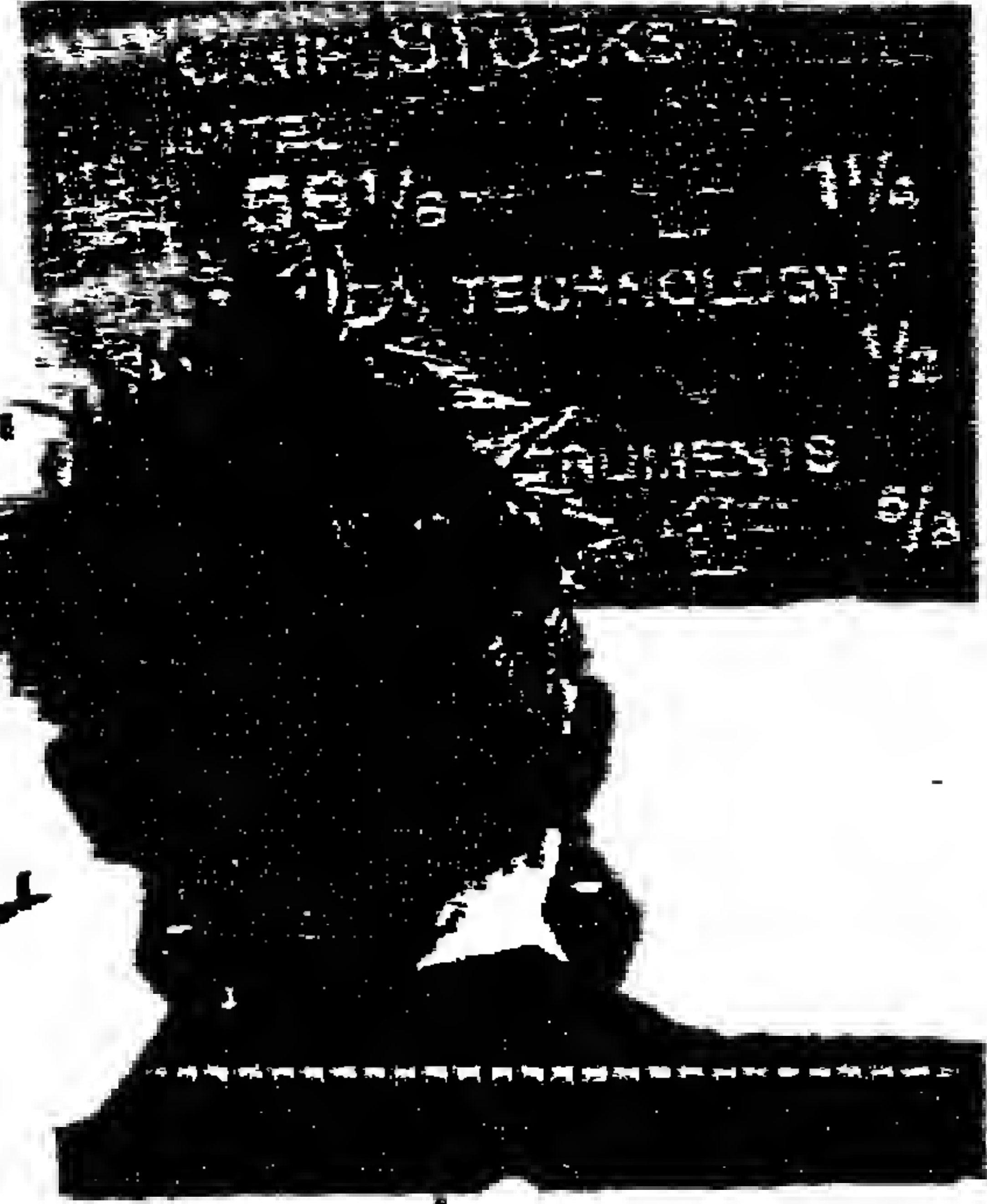
وبفضل عالم اقتصاد آخر هو «آدم سميث» (١٧٢٣-١٧٩٠) اعتقد معظم الأوربيين فى القرن التاسع عشر أنه لا مندوحة عن الرأسمالية أو حتى أنها عطية من الله. لكن ماركس كان يعتقد أن منظوره العملى إلى الاقتصاد يستطيع أن يتنبأ بدقة بالانفجار الداخلى للنظام الرأسمالى، فسوف تصبح الثروة مركزة فى أيدى قلّة، وسوف تنجرف الغالبية العظمى من السكان إلى الفقر.



وعندئذ لابد أن تكون هناك ثورة ، وعندها يظهر المجتمع الشيوعى الذى سوف يعطى فيه كل فرد طبقاً لقدراته، ويأخذ طبقاً لحاجاته.

مـاركـس : النبـى :

كان ماركس يقول باستمرار : أنه «ليس ماركسياً» رغم أنه كان هو نفسه يأخذ أفكاره بجدية شديدة، فإنه لم يكن سعيداً باستمرار أن ينظر إليه بعضاً من تلاميذه على أنه نبى معصوم من الخطأ. والاقتصاديون، فى يومنا الراهن، أقل اقتناعاً بأن من الممكن أن تتحول نظمهم إلى «علم» له الدقة التنبؤية التى يوثق بها. إذ تبدو كثيرة من تنبؤات ماركس، الآن، خاطئة.





لم تكن فلسفة ماركس واضحة جداً بصدد الطريقة التى يحدث بها الأساس الاقتصادى للمجتمع بنيته الفوقية. ولقد وصل بعض الماركسيين فى النهاية من أمثال هربرت ماركيوز (١٨٩٨-١٩٧٩) من أعضاء «مدرسة فرانكفورت» إلى الاعتقاد بأن «البنية الفوقية» بالفعل حياة خاصة بذاتها.

ربما كان للأفكار من الأهمية ما للاقتصاد فى تحديد الفكر والتاريخ البشرى، مما يعنى أن هيجل قد أصاب إلى حد ما فيما قال ... وهناك فلاسفة ماركسيون متأخرون ونشطاء يتفقون على ذلك بمن فيهم أنطونيو جرامشى[1] (١٨٩١-١٩٣٧) الذى ذهب إلى أن الناس وصلوا إلى أن البناءات الأيديولوجية لعالمهم الاجتماعى والسياسى هى بناءات «طبيعية».



ولقد بيّن رولاند بارتيز[2] (١٩١٥-١٩٨٠).

(١) منظّر ماركسى ومؤسس للحزب الشيوعى الإيطالى (المترجم).

(٢) رولاند بارتيز، ناقد فرنسى كتب «أمبراطورية الدلالات» عام ١٩٧٠ وغيره من المؤلفات (المترجم).

المذهب النفعى : علم الأخلاق :

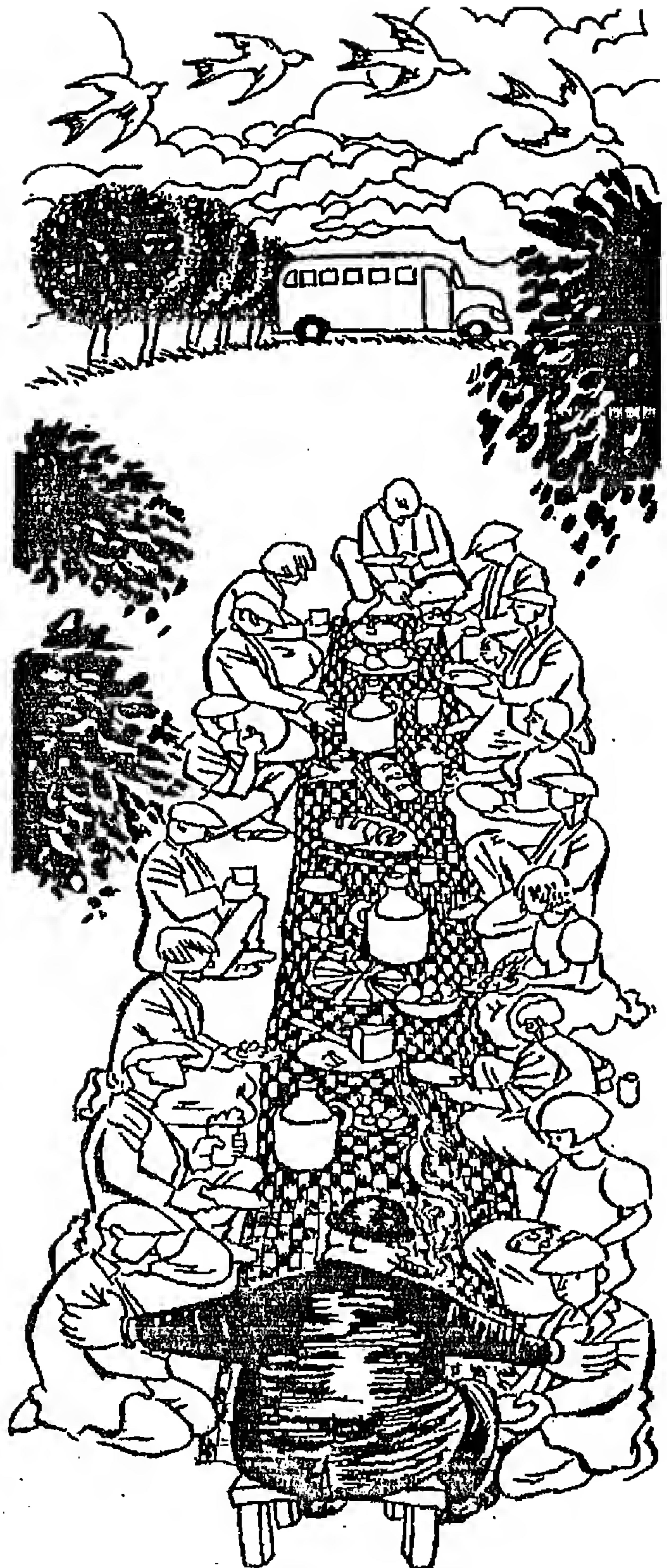
فى الوقت الذى كان فيه ماركس يكتب مؤلفاته على عجل فى مكتبة المتحف البريطانى، كانت هناك فلسفة مختلفة أتم الاختلاف، مادية وإلحادية، تضرب بجذورها فى انجلترا، أسسها جرمى بنتام (١٧٤٨-١٨٣٢)، ونقحها بعد ذلك جون ستيوارت مل (١٨٠٦-١٨٧٣) ولقد اعتقد الفيلسوفان الإنجليزيان معاً ـ على خلاف ماركس ـ أنه ليس هناك ما يعيب الرأسمالية من الناحية الداخلية، فلا مندوحة عنها وهى جيدة.

كان بنتام محامياً غريب الأطوار اهتم بالعلاقة بين الأخلاق والقانون.



وعلى ذلك فقد طرح نظامه الأخلاقى والسياسى الجديد على أساس التعريف «العلمى» للطبيعة البشرية.

جميع الموجودات البشرية كائنات تخضع للذة والألم. ومن ثم فينبغى للفلسفة الأخلاقية والسياسية أن تسعى لزيادة اللذة وتقليل الألم. ولابد أن تكون ديمقراطية.



ومن ثم فمهمة أى حكومة منتخبة أن تحقق أعظم قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس.

كان بنتام يؤمن أصلاً بأن «السعادة» يمكن أن تكون كمية وأن تقاس علمياً. وعلى ذلك فمن الممكن أن تحل الأمور الأخلاقية والمشكلات السياسية. وهذا ما أسماه بحساب السعادة أو صناعة السعادة. كما كان يعتقد أن النظام الرأسمالى هو أفضل النظم فى إنتاج مقادير ضخمة من السعادة المادية.

السعادة العامة :

ومن الواضح أن «مذهب المنفعة» يلعب دوراً فى طريقة تنظيم الحكومة الديمقراطية الشعبية. إذا ما أعطت الشعب ما يريد أو ما تعتقد الحكومة أنه خير للناس فالمذهب يشجع المثل العليا العصر الفيكتورى فى النفع العام، مثل إعداد الصرف الصحى، وبناء المدارس والمستشفيات لأن هذه الأمور تجلب السعادة. ويعتقد بنتام أيضاً أن على الحكومات أن تعاقب العمل السيئ بإعداد ملاجئ، أما المجرمين فتعاقبهم بوضعهم فى سجون مكشوفة تسمح بالرؤية فى جميع الاتجاهات بحيث يراقب كل سجين على الدوام من برج مركزى.





طغيان الأغلبية ومذهب التعدد :

ولقد حاول جون ستوارت مل تعديل نظرية بنتام، فقد كان يخشى أن يؤدى مذهب المنفعة بطريقة آلية إلى طغيان الأغلبية، فإذا ما اعتقدت الأغلبية أنها ستكون فقط سعيدة عندما تضع حدوداً قاسية على جماعات الأقلية مثل جماعات الغجر ورحالة العصر الجديد، فهذا ما ينبغي على الحكومة أن تقوم به.

ولا يزودنا المذهب النفعى بأى شروط مقنعة عن الحقوق البشرية، ولأنه لابد أن يكون هناك نوع ما من القوة المركزية لتوزيع مقادير السعادة، فإن الحكومات المركزية وإداراتها البيروقراطية تصبح قوة متزايدة.

وذلك ما أقلق مل، ولذلك دافع في كتابه«عن الحرية» عام ١٨٥٩ [١] عن التسامح مع أفكار الأقلية وأسلوبها فى الحياة ، بشرط عدم الإضرار بالآخرين





ويبدو أن مل أيضاً لاحظ أن أسس المنفعة العامة عند بنتام هى نفسها أسس رواغة. فحتى اذا ما كانت الأفراد مجبولة بيولوجيا للسعى عن سعادتها الخاصة، فما هى الحوافز التى تقدمها لهم لإنجاز سعادة الآخرين ... ؟

(١) قمنا بترجمته مع كتاب مل «مذهب المنفعة العامة» كتابنا فى «اسس الليبرالية السياسية»، كما ترجمنا لمل أيضا كتابه «استعباد النساء» الذى دافع فيه عن حرية المرأة ـ وقد نشرتهما مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٦ (المترجم).

أصول الفلسفة الأمريكية :

كانت أمريكا ابتكاراً أوروبياً، فدستورها يقوم على أساس المبادئ الفلسفية لعصر التنوير. وبعد حرب الاستقلال (عام ١٧٧٤-١٧٨١)، كان على ما يسمى «بالآباء المؤسسين». أن يقرروا ما الذى ينبغى أن يكون عليه مستقبل أمريكا السياسى. ودار نقاش طويل حول دور الحكومة المركزية، ومدى سلطاتها. عدد كبير من السياسيين الأمريكيين ، على نحو يثير الدهشة، كانوا يرتابون بالفعل من المؤسسات الديمقراطية، غير أن آخرين من أمثال «توماس جفرسون ١٧٤٣-١٨٢٦» وبينامين فرانكلين (١٧٠٦-١٧٩٠) استمدوا آراءهم وأفكارهم الفلسفية والسياسية الجديدة من أوربا وأخذوها مأخذ الجد التام. وفى النهاية انتصرت أفكارهم، وأصبحت أمريكا جمهورية ديمقراطية.



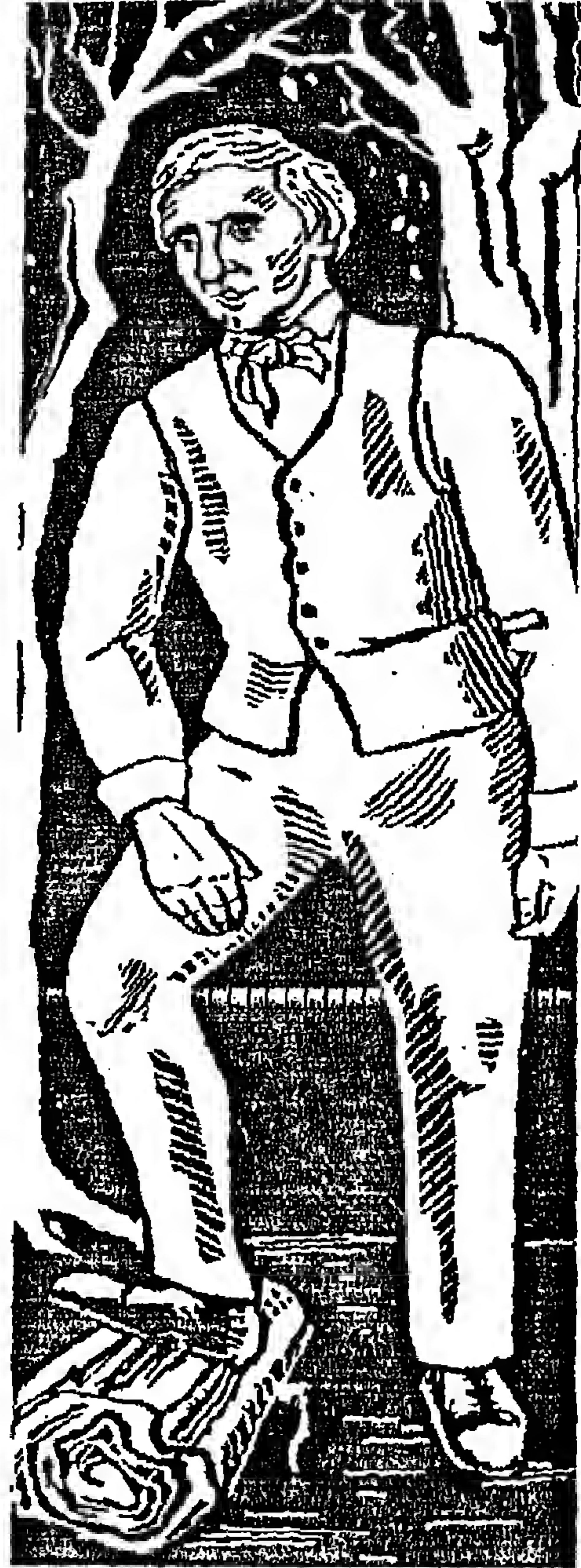


ليس هناك حكومة هي الأفضل :

أحد الفلاسفة الأمريكيين الأوائل كان يعتقد أن الحرية والسعادة إنما ينجزان على نحو أفضل دون مساعدة الحكومات : هذا الفيلسوف هو «ديفيد هنري ثورو (١٨١٧-١٨٦٢)»[1].

هجر «ثورو» المجتمع لمدة سنتين وشهرين ويومين، وقرر أن يعيش في كوخ ريفي بسيط بولاية ماساشوست حول أحدي البحيرات حيث كتب «وولدن» عام ١٨٥٤. التي تشيد بالهدوء والجمال في الطبيعة من حوله وتمتدح الحياة البسيطة.

حياتنا تتبدد
في التفصيلات ... البساطة ...
البساطة ... !!



(١) كاتب وشاعر أمريكي كان يكره الاستبداد والرق قرر الاعتزال والعيش في كوخ ريفي لمدة عامين حول بحيرة وولدن، ومن التجربة التي مرَّ بها أخرج أشهر أعماله «بحيرة وولدين» عام ١٨٥٤ ليصف حياته في هذه المنطقة كما كاتب: "أمريكي في كنفا "دافع فيه عن قيمة الفرد في المجتمع المادي (المترجم).

وفى يوم من أيام عام ١٨٤٦ ترك «ثورو» كوخه وسار الهوينا إلى المدينة ليشترى حذاءً، لكن لسوء الطالع طلب منه ضابط شرطة المدينة أن يدفع «ضريبة الرأس» ، ولما كان ثورو يعتقد أن هذه الضريبة سوف تُستخدم للمساهمة فى نفقات الحرب ضد المكسيك، ولمساندة قوانين الرق، فقد رفض أن يدفعها، فأودع السجن لمدة ليلة، ونتيجة لذلك كتب «العصيان المدنى»: المقالة الرومانسية الفوضوية العميقة.





هذا التراث النبيل لعدم الاكتراث بالآخرين ، واصل وجوده حتى الآن، فكثير من المفكرين الأمريكيين المتمازين من أمثال «توم شوسكى (ولد عام ١٩٢٨) لايزالون يؤمنون بأن الأولوية لسلطان الضمير الفردى على سلطان الدولة. كما ظلت الحرية، بحق، فى عدد كبير من النقابات وقوى الحكومة التى تسير بلادها وسياستها الخارجية. ويمكن القول أن سلوك «الخنافس» و«الاسلوب الوجودى» هما خياران يمكن أن يرتدا إلى الانشقاق الفوضوى عند ثورو.

امرسون : المعرفة التى تقع فى الما وراء :

لم يطور ثورو أفكاره عن الضمير الفردي في عزلة ريفية رائعة، لقد كان جزءاً من حركة أمريكية فريدة فلسفية وأدبية عرفت باسم «الترنسندنتالية» (أو الفلسفة المتسامية) وعندما تلصق صفة التسامي أو التعالي بفلسفة ما، فإن ذلك يكون في العادة بسبب قولها بدعاوى ميتافيزيقية لمعرفة أعلى وأكثر صدقاً تجاوز بطريقة ما التجربة الحسية البشرية المألوفة ومن ثم لا يمكن بلوغها إلا عن طريق العقل أو الحدس. «فالصور» أو «المثل» عند أفلاطون، والأفكار اللاهوتية في العصور الوسطى عن طبيعة الله لايمكن بلوغها، رغم أن من الممكن استنباط بعض المعرفة الترنسندنتالية من مقولات وحلوس تجعل التجربة البشرية كلها ممكنة.



كانت ترنسندنتالية «رالف والدو امرسن (١٨٠٣-١٨٨٢) فريدة وخليطاً غريباً، إلى حد ما، من الأفلاطونية، وكانط، والرومانسية الإنجليزية. وهي صوفية بطريقة عميقة تشدد على أولوية الحدس والضمير الفردي على سلطة الدولة والديانة المنظمة.

اعتنق الترنسندنتاليون من أمثال «امرسن» و«ثورو» مذهب وحدة الوجود عن جمال العالم الطبيعى، وهو جمال موجود بسبب أن الأولوهية كامنة فى جميع الأشياء الأرضية، (وهى وجهة نظر فلسفية غير متعالية أو متسامية فى الواقع). ويذهب أمرسن إلى أن الغرض الأساس من الحياة البشرية هو الوحدة المطلقة مع «الروح الأعلى» وهى كيان لاشكل له يشبه إلى حد ما جوهر اسبنوزا الواحدى أو «الروح» عند هيجل. ومذهب «الترنسندنتالية» هو مزيج مستمد من كثير من الأفكار المختلفة من التراث الفلسفى والأدبى الأوروبى (والشرقى) التى جعلته بالفعل ظاهرة اجتماعية وأدبية ممتعة أكثر منه ظاهرة فلسفية.



أصبح أمرسن فى سنواته الأخيرة إيجابيا نشطاً فى قضية الغاء الرقيق وألقى، الكثير من الأحاديث ضد الرق فى الولايات الشمالية ولقد كان الأثر الطيب الذى تركه الرجلان على الحياة الثقافية والسياسية الأمريكية هائلاً : «مَنْ يريد أن يكون إنساناً، فلابد له أن يكون منشقاً على الكنيسة».

البرجماتية :



غير أن الفلسفة الأكثر أهمية، وهى الفلسفة الأمريكية المستقلة حقاً فهى البرجماتية. فشارلز ساندرز بيرس (١٨٣٩ـ١٩١٤) ووليم جيمس (١٨٤٢ـ١٩١٠) كانا معاً فيلسوفين تجريبين راديكاليين. ومن ثم كانا يكنان شيئاً من العداء للفكر النظرى/ الميتافيزيقى الذى كانت تسمح به «الترانسندنتالية». لقد رفضت البرجماتية الآراء الفلسفية العقلية والتجريبية التقليدية عن المعرفة باعتبارها تجربة ذهنية خاصة. وذهبت إلى أن المعرفة البشرية لابد أن ترى على أنها أكثر من الاستجابة للبيئة فى قدرتها على حل المشكلات.



ش. بيرس :

أكثر البرجماتين أصالة وعمقاً هو بلا شك شارلز بيرس، ولم تكتشف جدارته إلا حديثاً من حيث أنه قام بمفرده فى تمهيد الأرض للكثير من فلسفة القرن العشرين. وهو مثل «ثورو» لم ينسجم أبداً مع جماعة أمريكية لها أحترامها. ولم ينشر كتاباً طوال حياته، عاش معظم حياته متوحداً منعزلاً عن العالم، ومات فقيراً. كان يعمل فى سنواته المبكرة عالم طبيعة، وقد وصل إلى بعض المكتشفات الهامة فى علم طبيعة الأرض، كما قام أيضاً ببعض المساهمات الرئيسية فى المنطق الصورى وفلسفة العلم. واستبقت فلسفته التجريبية الراديكالية آراء الوضعيين الناطقة على نحو ما سنرى.



كان يقول عن نفسه أنه «خطاء نادم» لأنه لم يلحظ أن المعرفة العلمية البشرية كلها شرطية ومؤقتة، وبذلك سبق «نظرية التكذيب» عند كارل بوبر (انظر ص ١٥٠ فيما بعد).

علم الدلالات :

وما أكثر أهمية أن بيرس هو الذى ابتكر علم الدلالات أو نظرية الإشارات: وهى نظرية كانت حاسمة فى تطور الفلسفة البنائية، و«ما بعد الحداثة» فى القرن العشرين. ويصنّف بيرس الاشارات على أنها «طبيعية» مثل «السحب التى تشير إلى المطر» و«البقع التى تدل على الحصبة»، و«أيقونية» (حيث تشبه الاشارة ما تشير إليه، كما هى الحال فى صورة الفول على غلاف فول مجمد) أو «اصطلاحية» (حيث تكون الاشارة شيئاً نبتكره فحسب نتيجة الاتفاق أو العرف مثل اللون الأحمر الذى هو اشارة إلى الخطر فى المجتمعات الغربية، ويسمى بيرس هذه الاشارات الأخيرة «بالرموز».

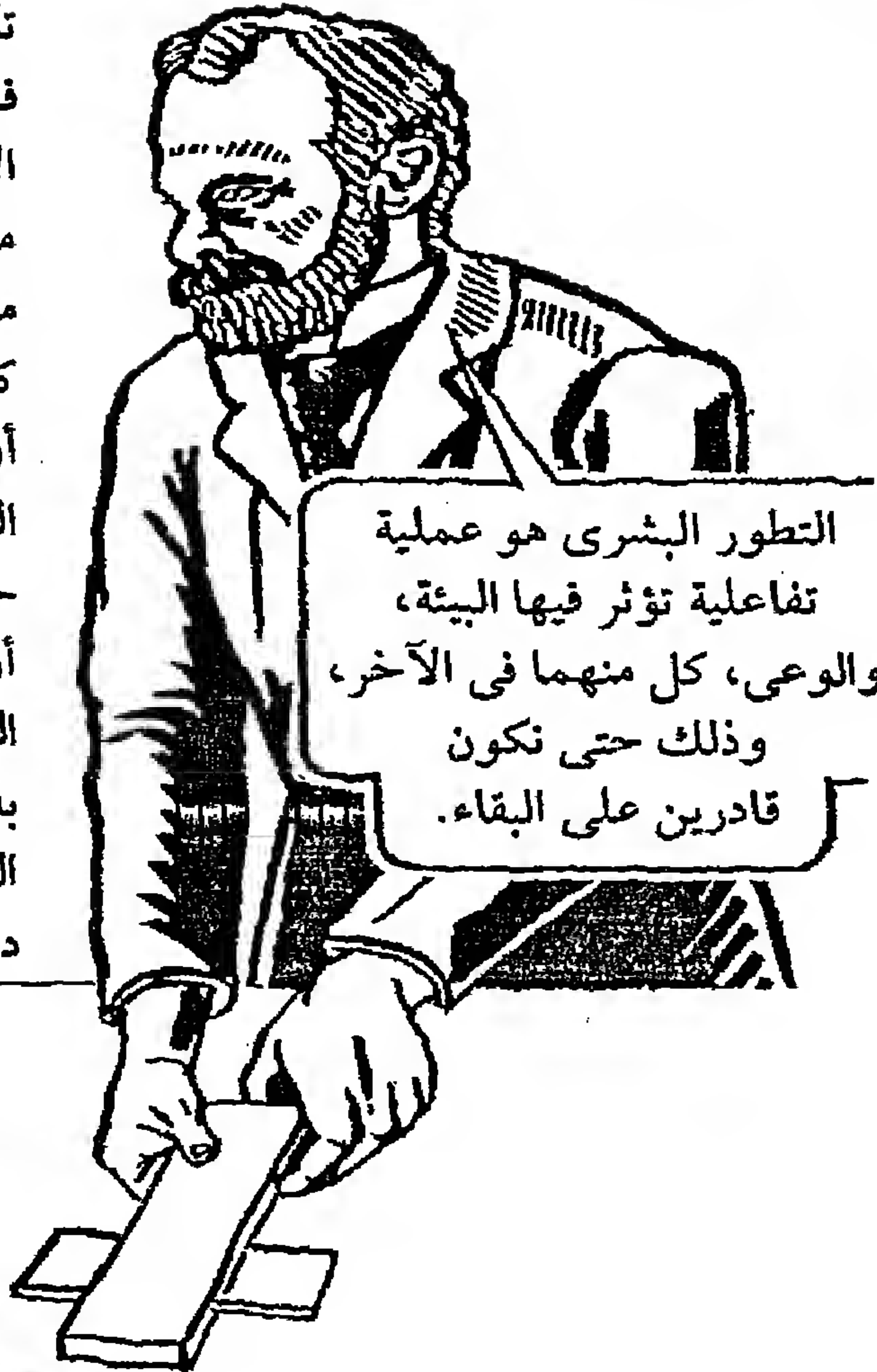
وهى الأغرب لأنها مؤلفة فحسب من واقعه أنها تستخدم أو تفهم بما هى كذلك.

والكلمات واللغة مبنية من مثل هذه الرموز والاشارات الطبيعية والأيقونية تشير فى العادة إلى حضور ما تدل عليه. فى حين أن الرموز ـ مثل الكلمات ـ نادراً ما تفعل ذلك. فلو أننى قرأت كتاباً فيه الرمز «فيل» فأننى نادراً ما أستنتج من ذلك أنه يوجد فيل فى منزلى. وهكذا يقترب بيرس جداً من القول بأن الكلمات رموز «تعسفية» أو اعتباطية لاتزال، بطريقة ما، تنتج معنى، وتفريعات هذا الاكتشاف بالغة الأهمية للفلسفة، على نحو ما سترى فى القسم الأخير من هذا الكتاب.

وليم جيمس :

تأثر وليم جيمس بقوة ببرجماتية بيرس، فذهب إلى أننا ينبغى أن لا ننظر إلى الأفكار على أنها كيانات ميتافيزيقية مجردة، بل أدوات ذات استخدام عملى - مثل القدرة على التنبؤ بالتجارب. وكان كتابه «مبادئ علم النفس» عام ١٨٩٠ أول كتاب مدرسى حقيقى فى موضوع الذهن البشرى.

حيث كان يصرّ على أن علم النفس لابد أن يتشبه أكثر بالعلوم الطبيعية التجريبية ... لقد كان جيمس مهتماً بالأساس الفسيولوجي للوعي، وبوظيفته البيولوجية التي شرحها بمصطلحات دارون.





علم النفس عند جيمس كثيراً ما يُعرف باسم «النظرية الوظيفية» ... وهذا هو ما يفعله الوعى والفروق التى يحدثها التى يراها جيمس سمات هامة؛ ولقد لاحظ جيمس أيضاً كيف يوجد الوعى كتيار متصل أكثر منه سلسلة من الأفكار المتصلة وهو استبصار كان له تأثير فى كل من الأدب القصصى فى القرن العشرين وظاهريات هوسرل. ولقد ذهب جيمس أيضاً إلى أن من الممكن ممارسة الارادة الحرة لكى يعالج المرء نفسه من الاكتئاب، ولقد فعل هو نفسه شيئاً من هذا القبيل. ولقد لاحظ أن الإيمان الدينى كثيراً ما يُضفى معنى على كثير من الأفراد، وفى السنوات الأخيرة من حياته درس ظواهر التصوف فى كتابه «صنوف من التجربة الدينية» الذى أصدره عام ١٩٠٢. ولقد أنتهى أخيراً إلى أن الله موجود، لكنه متناه، مما يفسر كيف، ولماذا، تكون الموجودات البشرية حرة، ومنفصلة عن الله، ولماذا يوجد الشر فى العالم.

جـون ديـوى :

جـون ديوى (١٨٥٩-١٩٥٢) فـيلسوف برجـمـاتى «وذرائعى» نسقى، آمن بأن «التفلسف» الحق يعنى أن يكون عـقـليـاً ناقـداً مـؤكـداً للمنظور الـعلمى» فى معالجـة المشكلات البشرية. والبرجماتيـون من أمثال ديوى كانوا متـحمسين إلى أقصى حـد لنجاح العلم ومناهجـه فى البـحث، كمـا كـان ديوى مـقـتنعـاً أن الفلسـفة يمكن أيضـاً أن تلعب دوراً رئيسياً فى مجال الديمقراطيـة الأمريكية الخلاقة، عن طريق المسـاهمـة فى جمـيع أنواع المعـرفـة: فى مجـال الأخـلاق، والفن، والتـربيـة، وانبـثـاق علوم اجتماعيـة جديدة. وكان ديوى - مثل بيرس - «خطاء» من الناحيـة النظرية. لكنه لايزال مؤمناً إيمـانـاً جازمـاً فى الإمكان الحـقـيقى للتـقدم العلمى فى الأمـور البشـرية، فـالمجـتـمع لا يمكن أن يـتـقـدم إلا إذا كـان أعـضاؤه على قـدر من التـربيـة ليكونوا عقلانيين ومرنيين.



وكان يتم تشجيع الأطفال ولايزال فى مـدرسـتـه الـتـجـريـبـيـة فى جـامـعـة شـيـكـاغـو، على حل المـشكلات عن طريق ابتكار الفروض واختبارها.

وأعـتـقـد ديوى أنه لابد من تشـجـيع الفن لأنه يثـيـر «الحلول» الخـيـاليـة و«مشكلاته» الخاصة الفريدة.

الديمقراطية :

كان ديوى يستحسن الديمقراطية لأسباب برجماتية جداً، فالمجتمعات الديمقراطية هى الأفضل لأنها مجتمعات مرنة طيّعة، تتجنب المعتقدات الجامدة، وبذلك تكون قادرة على التغير. وذلك يعنى أيضاً أن ديوى كان مهتماً بالنظم الجديدة فى علم الاجتماع لقدرتها على انتاج احصاءات مفيدة، فالمشكلات الاجتماعية - فى رأيه - لايمكن حلها عن طريق التنظير المجرد.



كان ديوى - مثلنا جميعاً - نتاج عصره. ورؤيته «للمجتمع» محدودة بحدود الطبقة المتوسطة، وبوجهة نظر أمريكية لمدينة صغيرة. وآراؤه متدرجة. وكان يعتقد أن التربية وليس الإثارة أو التهييج : هى التى تقوم بتحسين حياة أفراد الشعب الأمريكى العاديين.

البرجماتيون الجدد :

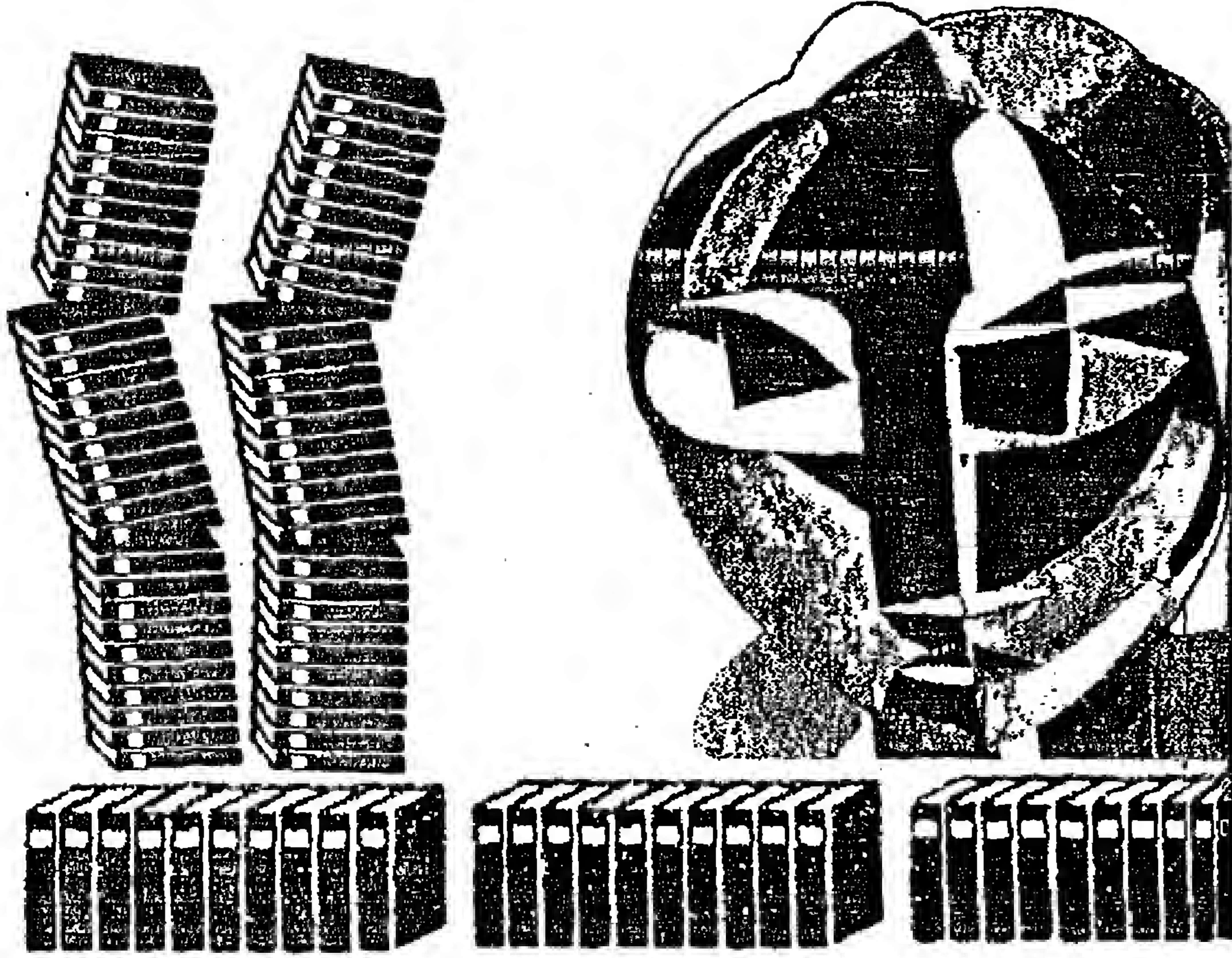
البرجماتية ـ في أمريكا ما بعد الحرب ـ شابها خسوف في النهاية، بسبب المستوردون الأوربيون الذين استوردوا الفلسفة التحليلية والظاهريات. لكن ذلك لم يستمر طويلاً : فالواقع أن البرجماتية لم تختف أبداً. فلايزال الفلاسفة الأمريكيون يؤمنون أن موضوعهم لابد أن يكون شيئاً مفيداً عملياً ـ على الرغم من أن هناك قدراً كبيراً من الاختلاف عما عساه أن يكون بالضبط هذا «المفيد»، فأحد الفلاسفة الأمريكيين وهو: و.ف. كواين (ولد عام ١٩٠٨) بيّن ـ بمفرده تقريباً ـ أن بعض المعتقدات المركزية في الفلسفة التحليلية هي في الواقع غامضة وغير دقيقة على نحو مقلق. ولقد كان كواين فيلسوفا برجماتياً لأنه ذهب إلى أن المعرفة البشرية لا مندوحة لها عن أن تكون كلية [(١)].



هناك فيلسوف أمريكي آخر يلقب بالبرجماتي الجديد «الراقي» لأنه لايزال يصرّ على طرح التساؤل حول الغرض الفعلي من الفلسفة.

(١) والكلية هنا Holisim تحتاج إلى تفسير فهي نظرية ترى أن أنواع الكل Wholes أو بعضها هي أكثر من مجموع أجزائه، بمعنى أن للكل من الخصائص ما لايمكن تفسيره عن طريق الخصائص والعلاقات، والكائن الحي مثال على ذلك. وهذه النظرية هامة في الفلسفات المثالية عن الدولة. وقد طوّرها كواين في نظريته عن العلم. (المترجم).

الانهيار الفلسفى :(١)



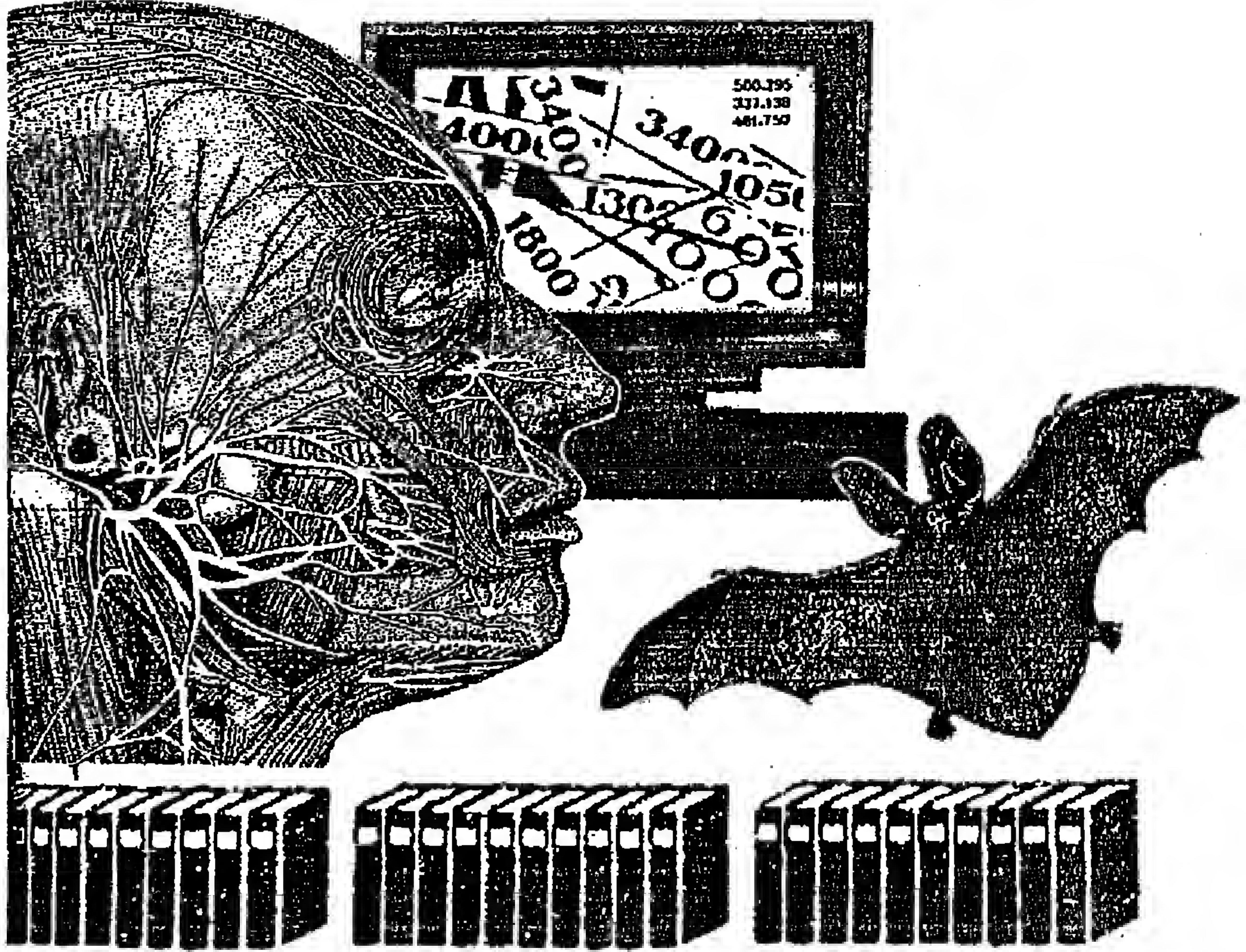
هناك فى الولايات المتحدة الآن عشرة آلاف فيلسوف أكاديمى محترف على الأقل؛ لايزالون يتصورون الفلسفة على أنها النشاط العملى الذى يعالج «مشكلات» الوعى والذكاء الاصطناعى، والأخلاق الطيبة، والحقوق الإنسانية، والرياضيات، ومضامين النسبية الابستمولوجية، والأخلاقية، والمنطق ... وما إلى ذلك. ان الفلسفة الأمريكية منشأة هائلة ومضنية، لايستطيع مثل هذا الكتاب إلا أن يلخصها وبطريقة غير كافية تماماً.

- جون رولز (ولد ١٩٢١) حاول فى كتابه «نظرية عن العدالة» أن يبيّن كيف يكون من الممكن التوفيق بين العدالة الاجتماعية، والديمقراطية الليبرالية الرأسمالية، والعقد الخيالى الواضح لما قبل الاجتماع.

- سول كويبك (ولد ١٩٤٠) حاول أن يغير الطريقة التى يفكر بها الفلاسفة فى موضوع العلاقة بين المنطق والتجربة. وهو يزعم أن معرفتنا بأن الماء يتركب من ذرتين هايدروجين وذرة أكسوجين «كيقين» تشبه معرفتنا للرياضيات والمنطق.

---

(١) الانهيار أو الانجراف - والكلمة التى يستخدمها المؤلف هى التيهور Avalanche وهى تعنى كتلة ضخمة من الثلج تنهار بسرعة على جانب الجبل. (المترجم).



ـ دانيل بنيت : (ولد عـام ١٩٤٢) أتى بأفكـار راديكاليـة جديدة عن طـبيـعـة الوعى البشرى، على نحـو ما فعل توماس ناجل (ولد عـام ١٩٣٧) فى مقاله الشهـير بعنوان: «ما الذى يعنيه أن تكون خفاشاً ؟»

ـ جون سيرل (ولد عام ١٩٣٢) أصدر كتاباً عن فلسفة اللغة، ونقده للنظريات المادية الحماسية عن الذهن. مؤكداً أن عدداً ساحـقاً من الكمبيوتر سوف يكون أسرع ـ لكن أشد غباءً ـ منا لأنها لن تكون لديها نظرة مقنعة عن «المعنى».

والبرجماتى الجديد «روتى» من المعروف عنه تأكيده أن الفلسفة ليست أكثر من رجل يفكر بصوت عال فى محـادثة عامـة حضـارية ضـخمـة. بل مـا هو أسوأ، أنهـا نوع من «المرض» يحتـاج أطباؤه إلى علاج. فـالنظرة الشكية يمكن أن تكون صـحيحـة تماماً، لكن يبدو أنه مـن غير المحـتمل تماماً أن يتوقف العـدد المخيف من الكتب والمقـالات الفلسفـية الأمريكية الجديدة التى تنشر الآن كل عام (حوالى أربعة آلاف).

مدخل إلى فلسفة القرن العشرين :

قال نيتشه إن الأفكار الفلسفية ليست أكثر من المعتقدات السائدة فى عصرها. وليس القرن العشرون استثناء من هذه القاعدة إذ يميل فلاسفته بطرق شتى إلى توجيه الخطاب نحو نفس الموضوعات السائدة. مثل مشكلات مجتمع الجماهير الحديثة التى تفقد هويتها الفردية. واللايقين النسبى والشك. والتركيز أكثر تخصيصاً على مشكلات الوعى البشرى المعقدة. ومشكلات المعنى والمنطق. وكثيراً ما كانت فلسفة الثمانين سنة الأخيرة تصنّف على أنها إما فلسفة تحليلية أو فلسفة قارية (أوربية).



يمكن أن نقول : إن فلسفة القارة هى إعادة نظر فى التراث الذى أنتجه ديكارت، وكانط، وهيجل.

أصول الظاهريات :

أدى نقد كانط للميتافيزيقا إلى القول بأن كل ما نستطيع معرفته بأي درجة من اليقين التجريبي هو عالم الظاهر : عالم التجربة الحسية، لكننا لا نعرف أبداً عالم النومين أو عالم الشيء في ذاته. نحن نعرف ما يظهر لكننا لا نعرف الأشياء على حقيقتها. والسؤال الذي يطرح نفسه هو : لكن ماذا عساه أن يكون ذلك الذي نخبره عندما نمر بالتجربة ؟

بدأت الظاهريات بمحاولة للإجابة عن هذا السؤال بالتركيز على تحليل الكيفية التي تظهر بها الأشياء أمام الوعي.

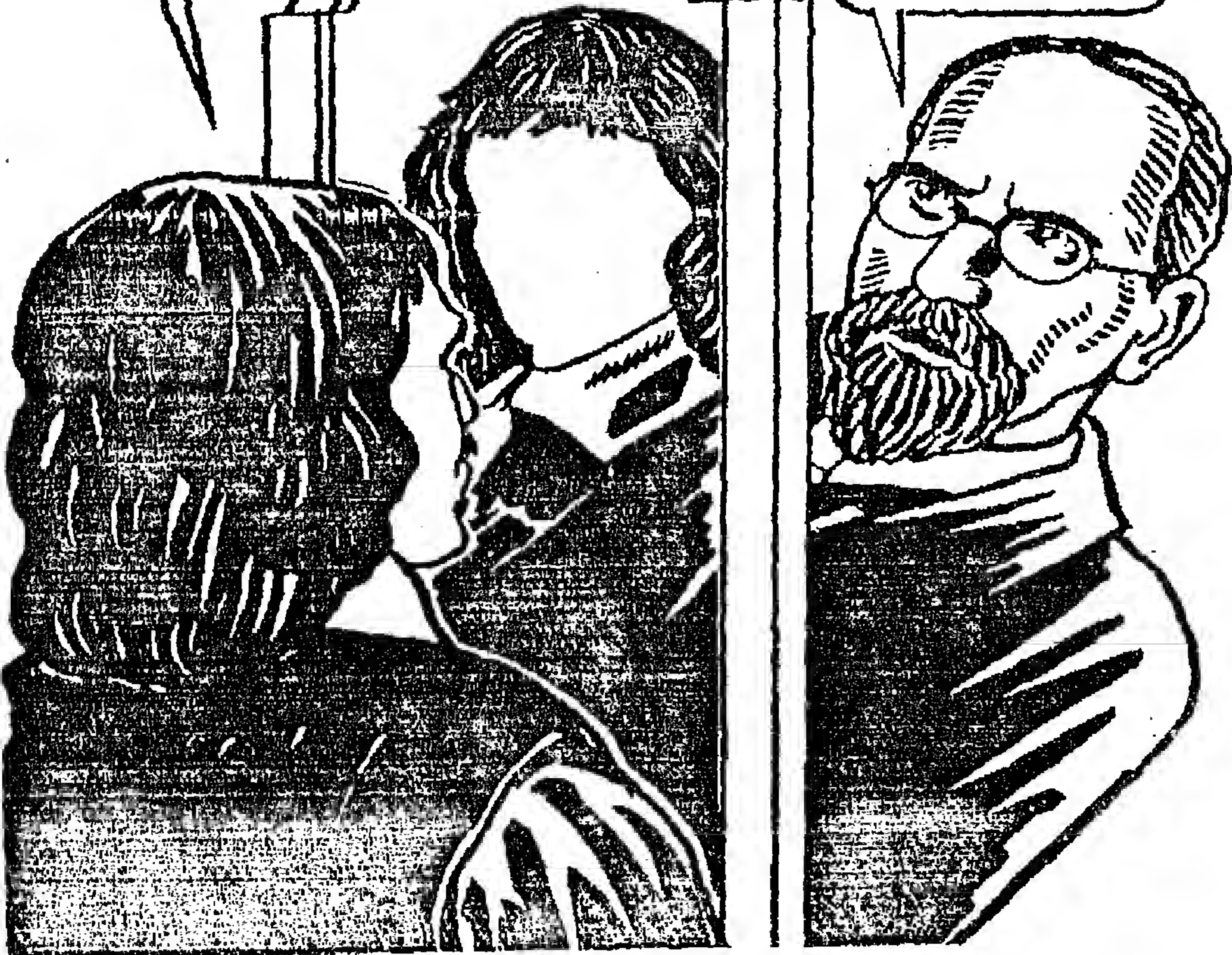
واقترح الفيلسوف وعالم النفس فرانتز برنتانو (١٨٣٨-١٩١٧) إنشاء «علم نفس فينومينولوجي أو وصفي».



ويؤكد برنتانو أولوية القصد : فللوعي دائماً موضوع «يقصده» فهو باستمرار يتجه نحو شيء ما؛ فإذا ما اعتقدت، أو كرهت، أو رأيت، فإن ذلك يعني أن هناك باستمرار شيئاً أعتقد فيه، أو أكرهه، أو أراه، حتى ولو لم يكن موجوداً بالفعل كالشبح أو الذاكرة.

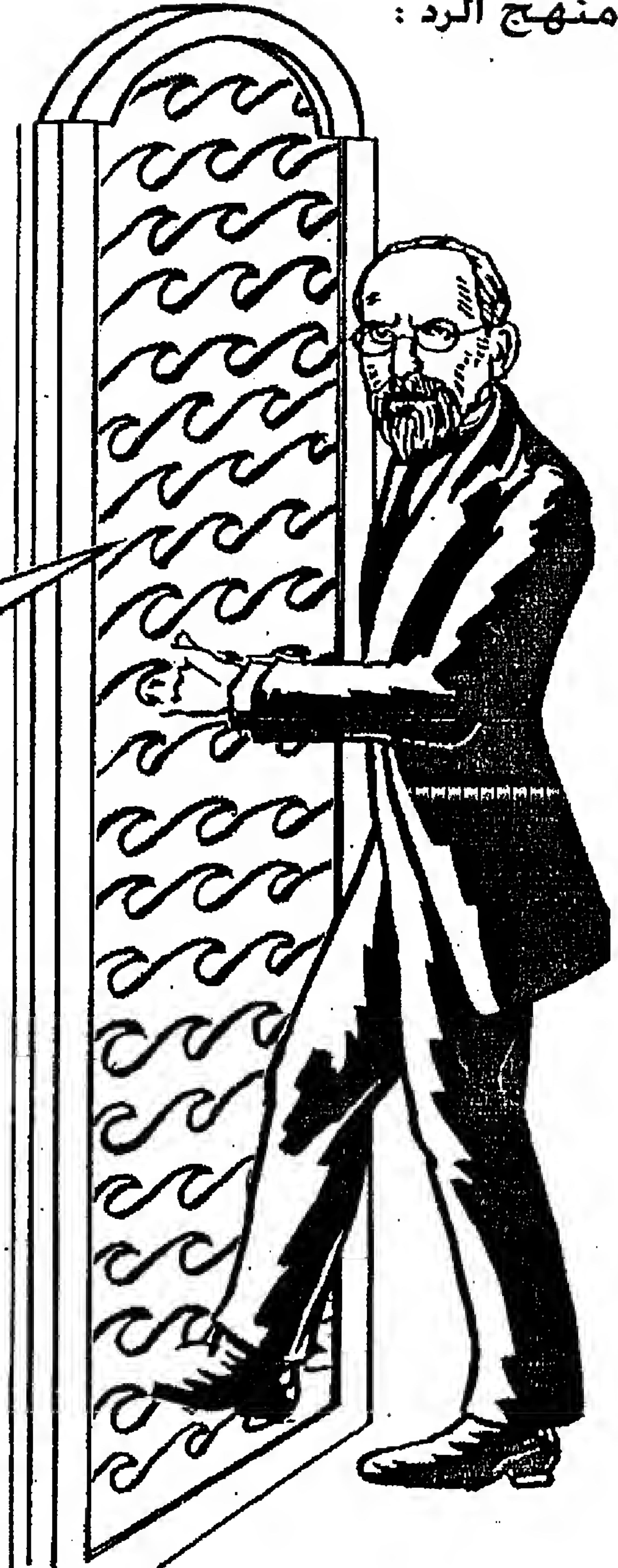
حلقات الوصل بين علم النفس والرياضيات :

ترتبط الظاهريات ارتباطاً مباشراً بنشأة علم النفس التجريبى الذى أسسه رسمياً فلهلم فونت (١٨٣٢-١٩٢٠) عام ١٨٧٩ فكان أول مَنْ ذهب إلى أن الاستبطان - أو فحص المرء لحالاته الذهنية الداخلية طبقاً لقواعد دقيقة - يمكن أن يكون منهجاً تجريبياً. ولقد كان «برنتانو» نفسه قريباً من مؤسس علم نفس الجشطالت : كريستيان فون.اهرنفلز (١٨٥٩-١٩٣٢). وتزودنا الرياضيات أيضاً بحلقة وصل هامة فى حالة ادموند هوسرل (١٨٥٩-١٩٣٨) الذى كان فى الأصل فيلسوفاً للرياضيات، وتبنى فكرة برنتانو فى الوعى القصدى. وهو يعرّف الظاهريات بأنها وصف لمضمون الوعى.



منهج الرد :

يبدو أن هناك طريقاً واحداً فقط لنعرف عن يقين ما هو الوعى. وهذا الطريق هو انجاز سلسلة من «الردود» التى تتجاهل جميع الخلافات النظرية والميتافيزيقية بحيث نركز فقط على مضمون الوعى، وسمته الأساسية وهى «القصدية» ، ويسمى هوسرل هذه العملية بالتوقيف أو التعليق.



المشكلة هى ـ كما أشار هوسرل ـ أن مثل هذه الممارسة سوف تؤدى إلى مذهب «الأنا وحدية Solipsism» ـ الذى يقول : إن كل ما تعرفه عن يقين كامل هو نفسك. ولقد تشكك حتى فى ذلك، مادامت هويتنا لا تكون حاضرة أبداً على نحو مباشر لوعينا.

هيدجر : التنقيب عن الوجود :

امتدت الظاهريات حتى وصلت إلى المستوى الأول للوعي. والسؤال هو : هل تدرك «الأشياء ذاتها» في الوعي، أم أن العالم هناك من أجل الذهن فحسب ؟ ، مارتن هيدجر (١٨٨٩-١٨٧٦) أحد تلامذة هوسرل أصلَ السؤال بأن جعله أساسياً أكثر بحيث يدور حول معنى الوجود. وهذا السؤال عن الوجود يسمى «الانطولوجيا الأساسية» في كتاب هيدجر «الوجود والزمان» (١٩٢٧) وهو يتعلق بنا على نحو قاطع من حيث أننا موجودات بشرية موجودة.



فكرة ديكارت عن أنني «موجود» لأنني «أفكر» تشبه هوية الوعي عند هوسرل، فهي تتجاهل أنني موجود في العالم عن طريق قيد أخلاقي؛ فالوجود هناك في العالم أو «الآنية» ليست على الإطلاق هي نفسها «الوجود الواعي»، فالوجود البشري هو قدرتنا على التواجد في العالم، وتحدده الخيارات التي نقوم بها، بما في ذلك الخيارات «الأصيلة والزائفة».

العدم : وانعدام الأصالة :



يتساءل هيدجر «لماذا يكون هناك شيء ما بدلاً من العدم»؟ إننا نصادف القلق بلا موضوع. وهو «عدم» أو موتنا القريب. لكن بينما نعيش، فإن وجودنا لابد أن يتحقق عن طريق أفعال الاختيار الحر. وذلك وحده هو الذي يمكن أن يعطينا ضماناً للأصالة. لقد «قُذف» بنا إلى العالم، ويعني ذلك عند معظم الناس، أن يتجلد الوجود عن «طريقهم» عن طريق الأدوار المتوسطة في الحياة اليومية التي يفرضونها علينا.

الدور الذي نزعمه هو الذي يجعلنا غير أصلاء لأنه ليس ملكاً لنا.



لكن هل من الممكن أن تكون «أصيلاً ذاتياً» في زمن نعيش فيه في مجتمع الحشد، والأيديولوجيات الشمولية، والتكنولوجيا ؟ وانتهى هيدجر - نظراً للصعوبات - إلى أن الموجودات البشرية بحاجة إلى أن يلتزموا بثقافتهم وتراثهم الخاص - وهي وجهة نظر أدت به إلى اختياره السياسي المشئوم في دعمه لهتلر والنازية. وهو أمر لم يأسف عليه أبداً فيما يبدو. وهكذا يظل شخصية إشكالية.

وجـودية سـارتر :

أنكر هيدجر أى صلة له بالوجودية، تلك الفلسفة التى طوّرها أساساً جان بول سارتر (١٩٠٥ـ١٩٨٠) من مصادر نموذجية من القارة: هيجل وهوسرل. وعلى الرغم من أن كتاب سارتر «الوجود والعدم» قد تأثر بوضوح بهيدجر، فقد كان ماركس فى النهاية أكثر أهمية. لقد كان سارتر أيضاً يبحث عن «الأصالة» وشارك كيركجور إيمانه «بالالتزام». إلا أن كل شىء يعتمد تماماً على واقعة أنه لايوجد إله، الأمر الذى يجعل الكون «عبثاً»، بلا معنى، ولاغرض. وعدم وجود إله يعنى أيضاً أنه ليس ثمة شىء اسمه «الطبيعة البشرية» لأن الموجودات البشرية ليست «مصنوعة» عن طريق خطة إلهية أو ماهية إلهية.



إننا «نصنع أنفسنا» عن طريق الاختيار، أو كما يقول سارتر : «الوجود يسبق الماهية» ومن هنا جاء أسم : الوجودية.

الحرية ... وسوء الطوية :

وجودية سارتر ديكارتيه تماماً بطرق شتى. الذهن هو كل ما نحن على يقين منه، وهو يقابل باستمرار بين الحرية، وخيال الوعى البشرى وبين الموضوعات اللاواعية، غير الحرية مثل : قطاعة الورق. غير أن «الذات» عند سارتر ليست ظاهرة استاتيكية نكتشفها من خلال «الفحص الذاتى» الديكارتى. إنها مشروع شخصى، علينا نحن أن نتحمل مسئولية تحقيقه.



الناس الذين لديهم سوء طوية سيحاولون الهرب منها بشتى الطرق. عن طريق التسلل إلى دور اجتماعى يقومون به (أنا نادل (جرسون) وهذا هو مَنْ أكون») إنهم يتحولون إلى أشياء لكنهم يؤكدون كذلك حقيقة الحرية. لكن هل الحرية حقاً «شاملة» كما يتصورها سارتر ؟ وهل «سوء النية» هو دائماً على هذا القدر من السوء؟.

الحياة السياسية الأصيلة:

في استطاعتنا أن نلاحظ لمَ كان الاختيار الأصيل على هذا القدر من الأهمية عند سارتر. لقد احتلت قوات النازي فرنسا ودخلت باريس عام ١٩٤١. وكان على كل فرنسي أن يقرر ما إذا كان سيتعاون مع النازي أو يقاتله، والتحق سارتر بالمقاومة وفي السنوات المتأخرة من حياته دافع عن استقلال الجزائر، ورفض جائزة نوبل. وكان يدعي باستمرار أن الماركسية، هي الفلسفة الوحيدة الصحيحة والمشرعة للعالم الحديث.



لقد انهمك سارتر طوال حياته في قتال ضد اللاأصالة الشخصية حتى لا ينزلق إلى دور سهل تحت اسم «الفيلسوف الوجودي الشهير».

كامى والعبث :

ولد البير كامى (١٩١٣-١٩٣٠) فى الجزائر، وكان صحفياً وكاتب مقال وروائى، وأنكر بدوره أن يكون وجودياً. غير أن دراسته للمغزى الانفعالى لما يعنيه القول بالعيش فى «عالم عابث» بلا إله يعد يقيناً إسهاماً للوجودية. ولقد أدى به التزامه بالمقاومة الفرنسية إلى الاقتراب الوثيق من سارتر. لكنهما اختلفا، بشدة فى مسائل الشيوعية واستقلال الجزائر. كيف يمكن لك أن تؤكد المعنى فى عالم لامعنى له ؟ لقد أوضح كامى ذلك فى «اسطورة سيزيف» [1] (١٩٤٣). لقد حكمت الآلهة على سيزيف أن يدفع صخراً من أسفل إلى قمة الجبل، غير أن الحجر يتدحرج سفلاً من جديد فيعود إلى دفعه ... وهكذا إلى الأبد. وقد بدأ كامى كتابه بسؤال :



ويستمر فى قوله «الحكم بما إذا كان للحياة قيمة أم لا يرقى إلى مرتبة الإجابة عن السؤال الأساسى فى الفلسفة» لقد اختار سيزيف فى تحد، أن يضفى على عمله العابث معنى، وبذلك اكتسب معنى، وكذلك لابد أن تفعل الموجودات البشرية فى حياتها «العابثة».

---

(١) كان سيزيف فى الأسطورة اليونانية مخادعاً خدع الآلهة أكثر من مرة فحكم عليه «زيوس» كبير الآلهة أن يقوم بدفع حجر ضخم من أسفل الجبل إلى قمته وما إن يصل إلى القمة حتى يعود الحجر إلى السفح من جديد... وهكذا دواليك. ومن هنا أصبحت اسطورة سيزيف رمزاً للجهد العابث الذى لا نتيجة له. طالع الأسطورة بالتفصيل فى كتابنا «معجم ديانات واساطير العالم» المجلد الثالث ص ٢٥٨ ـ مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٦ (المترجم).

الفلسفة التحليلية : مشكلة الرياضيات :

لدى الفلاسفة تلك العادة المزعجة، عادة طرح أسئلة فى غاية البساطة لكنها كثيراً ما تحتاج إلى إجابات بالغة الصعوبة. فكل إنسان يعرف أن ٢ + ٢ = ٤ لكن الفلاسفة يسألون: لماذا ؟ كان فيثاغورس مقتنعاً بأن الرياضيات هى مفتاح فهم كل شىء، واعتقد أفلاطون أن للأعداد نوعاً من الوجود الغامض المنفصل. وإحدى المشكلات التى شغلت بعض الفلاسفة التحليليين فى القرن العشرين هى محاولة العثور على «أسس» الرياضيات فى المنطق.



وذلك ما أقلق الفيلسوف التجريبى فى العصر الفكتورى «جون ستوارت مل» الذى اعتقد أن اليقين الرياضى مصدره الحس وأنه يشبه كثيراً «الغذاء الحر»أو "الوجبة المجانية". فزعم أن من المرجح جداً أن تكون الرياضيات حقيقة استقرائية تقوم على أساس التجربة البشرية للعالم.







لكن لو صحّ ذلك : فلماذا تزودنا الرياضيات باستمرار بصورة دقيقة عن كيف يعمل الكون ؟ تفسير كانط هو أن الرياضيات هى مثال آخر عن القضايا التركيبية القبلية» ـ الرياضيات صادقة بالنسبة لنا على الدوام، لأن هذه هى الطريقة التى ركبت بها عقولنا.

فريجة وإزالة السر عن الرياضيات :

عاش جو سكب فريجة (١٨٤٨-١٩٢٥) حياة هادئة منعزلة عن الناس، لكنه غيّر الفلسفة الغربية إلى الأبد بأن جعل المنطق أساس الفلسفة بدلاً من مشكلة «المعرفة»؛ فقد تخلى عن المنطق الاستنباطى التقليدى وأخرج منطقاً «صوريا» و«رمزياً جديداً». واعتقد أنه عن طريق استخدام هذا المنطق الجديد يستطيع البرهنة على الروابط العميقة بين الرياضيات والمنطق. لقد أزال فريجة السر عن الرياضيات بأن بيّن أن الأعداد ليست «موضوعات».



ثم بيّن «فريجه» كيف أن الرياضيات تحليلية أو «فارغة»



كثيراً ما يقدّم الفلاسفة العقليون الرياضيات على أنها أعظم نموذج لأنواع الحقائق الأساسية التى ينتجها العقل. إن ازالة فريجه لغموض المعرفة الرياضية كان حاسماً لأنه ساعد فى تدمير الوهم القائل بأن هناك نوعاً من المعرفة الميتافيزيقية الخاصة لا يستطيع اكتشافها سوى الفلاسفة.

ويظل السر باقياً :

يبدو أن فريجة اقترب جداً من حل المشكلة الفلسفية عن الحقيقة الرياضية ، إلا أن برتراند رسل فى عام ١٩٠٣ اكتشف ـ لسوء الطالع ـ مفارقة فى مذهب فريجة يبدو أنه لايمكن حلها. كما بيّن «كيرت جودل» (١٩٠٦ـ١٩٧٨) أنه سيظل هناك باستمرار حقائق رياضية لا يمكن البرهنة عليها فى أى مذهب منطقى متسق مع نفسه. فالنسق التصورى يمكن أن يكون متسقاً وكاملاً لكنه لا يكون الاثنين معاً.



وعلى ذلك لاتزال الرياضيات تفلت من المنطق ، وتظل إحدى المشكلات المركزية فى الفلسفة المعاصرة.

المعنى والمرجع (أو الإشارة) :

كان فريجة أيضاً أحد مؤسسى الفلسفة اللغوية الحديثة، فقد ساعد فى تغيير برنامج الفلسفة الحديثة، وتحويلها من مشكلة المعرفة إلى مشكلة ربما كانت أساسية أكثر هى مشكلة المعنى . ويشدد فريجه على أن لغة النحو اليومية، ليست مشكلة منطقية، وأن المنطق نفسه مستقل عن علم النفس. وللغة ذاتها وظيفتان مختلفتان.



إن مغزى اللغة ظاهرة عامة تقوم على العرف ويمكن أن تتغير لكن الإشارة أو المرجع تدل على الصدق أو الكذب. ويستمر فريجه ليؤسس مذهباً معقداً فى المنطق يقوم على أساس هذا الاستبصار.

رسل والذرية المنطقية :

برتراند رسل (١٨٧٢-١٩٧٠) مع ألفرد نورث وايتهد (١٨٦١-١٩٤٧) عالجا أرضاً مماثلة للأرض التى عالجها فريجه فى محاولة غير ناجحة للبرهنة على كيف أن أبسط الرياضيات لها أسسها المنطقية مثل ١+١=٢ فى كتابهما «برنكيبيا ماثماتيكا» (أو أصول الرياضيات) عام (١٩١٠-١٩١٣).



أما فى تراث التجريبية الانجليزية المحترم فقد كان رسل من أتباع «الذرية المنطقية»، فقد اعتقد أن أفضل طريقة لفهم العالم هى تقسيم كل شىء إلى مكوناته الفردية. ويمكن أن نبيّن بعد ذلك أن القضايا الفردية تشير إلى إحساسات فردية فى الذهن، تسببها هى نفسها أجزاء ضئيلة من العالم.



فلا بد من كسر اللغة المألوفة وردها إلى صورتها المنطقية. إذا كانت ستصبح غير غامضة أو ملتبسة. والمثال الجيد لكيف يحدث ذلك هو كلمة «يكون». ويقترح رسل ما يسميه نظرية «الأوصاف المحددة» مستخدماً مثالاً شهيراً هو «ملك فرنسا ، هو رجل أصلع الرأس». فما الذى تصفه هنا كلمة «هو» ؟ ويمسك رسل بكلمة «هو» ويحللها تحليلاً منطقياً دقيقاً، يختلف اختلافاً تاماً عن تحليل «الوجود» عند هيدجر كما سنرى الآن.

التحليل المنطقى :

عبارة «ملك فرنسا هو رجل أصلع الرأس» عبارة غريبة؛ لأنها تشير إلى رجل لا وجود له. وحل «رسل» لهذا اللغز اللغوى. هو تفتيت العبارات اليومية إلى مكوناتها المنطقية، حتى يكون سهلاً أن نرى أين الخطأ كما يأتى :

> هناك ملك حالى لفرنسا ـ خطأ
>
> كل مَنْ هو ملك فرنسا فهو أصلع الرأس
>
> هناك ملك واحد فقط لفرنسا



ومن ثم فكلمة «هو» فى العبارة الأصلية «ملك فرنسا هو أصلع الرأس». تتضمن خفية أن هناك ملكاً موجوداً فى حين أنه غير موجود والتحليل المنطقى يكشف ذلك بوضوح. كذلك يكشف مثل هذا التحليل الفرق بين «معنى» العبارة وما تشير إليه.

ولقد اعتقد كل من فريجه ورسل أن الفلسفة المعاصرة لم يعد لها موضوع سوى أن تصبح «نشاطاً تحليلياً». فلابد لفلاسفة القرن العشرين أن يكونوا «مناطقة» لا أن يكونوا عرّافين ينقبون «فى أعماق طبيعة الواقع». ولم يمنع ذلك رسل ـ اللورد الإنجليزى ـ من المشاركة فى عدد كبير من المسائل الأخلاقية والسياسية فى عصره.

الوضعويون المناطقة:

كان الوضعيون المناطقة - أو حلقة فينا - علماء طبيعة واجتماع أكثر منهم فلاسفة. موريس شليك (١٨٨٢-١٩٣٦) وأوتو نوراث (١٨٨٢-١٩٤٥) ورودلف كارناب (١٨٩١-١٩٧٠) اعتقدوا أن الفلسفة بأسرها - لاسيما مثالية هيجل - لغو ميتافيزيقى فارغ.



وهم يعتقدون أن «السطح النحوى» للغة قد أدى بالفلاسفة إلى منازعات لا حصر لها ولا حل حول كيانات خيالية مثل «الجوهر» عند اسبنوزا وليبتنز.

الوضعية المنطقية عند آير :

ولقد اعتقد الوضعيون المناطقة أنه ليس هناك شيء اسمه «المعرفة الفلسفية» ـ لأن الطريق الوحيد إلى المعرفة الحقيقية إنما يكون عن طريق العلم، ولايمكن للفلسفة إلا أن تكون نشاطاً تحليلياً يوضح التصورات والغموض اللغوى. ولقد ذهب أ.ج.آير (١٩١٠ـ١٩٨٩) إلى فيينا ليلتقى بهم فى ثلاثينيات القرن العشرين وعاد تلميذاً لهم. وكتب كتابه «اللغة والصدق، والمنطق» عندما كان فى السادسة والعشرين من عمره، ولقد صدم برفضه التقنى البارد «للدين» و«اللغة الأخلاقية» على أنها لغو فارغ ـ بعض أعضاء المؤسسة البريطانية.



اختبار المعنى:

كان على أعضاء حلقة فينا في النهاية ـ وهم جميعاً يؤمنون بالتسامح والتقدم العلمى ـ الفرار من عته ألمانيا النازية. أما شليك فقد أطلق عليه واحد من تلامذته المخبولين الرصاص فأرداه قتيلاً، وهى مسألة يفضل بعض أساتذة الفلسفة الصمت إزاءها.

ولقد انهارت نظرية المعنى ـ أو مبدأ التحقق من الصدق ـ إلى حد ما لأن قدراً كبيراً من العلم الحديث كان تصورياً ولايمكن اختباره بطريقة المبدأ البسيط. علينا أن «تنظر ونرى» فليس هناك مَنْ رأى «جزئ الذرة» quark فكيف يمكن اختبار مثل هذا الشىء؟ كما أن المعنى لابد أن يسبق الاختبار، فهو ليس نتيجة للاختبار، إذ كيف يمكن لنا أن نختبر شيئاً ما لم نفهمه أولاً ؟ ولقد تُركت مشكلة المعنى هذه لفيلسوف آخر من فينا ليحلها بطريقة أكثر إقناعاً.



الذرية المنطقية عند ﭬتجنشتين :

درس ﭬتجنشتين (١٨٨٩-١٩٥١) الهندسة فى البداية، ولقد أدى به اهتمامه بمنطق الرياضيات إلى أن يعمل مع برتراند رسل فى جامعة كمبردج عام ١٩١١ [(١)]. كان من عائلة ثرية موهوبة من فينا لكنها تعيش مأساة فقد انتحر ثلاثة من أشقائه. أما هو فقد كان معلماً ساحراً، نافذ الصبر، ملغزاً، انتهى إلى رفض التدريس الأكاديمى للفلسفة بوصفه عديم النفع. كما كان رجلاً متديناً بطريقته الخاصة، غيرٌ الفلسفة الغربية إلى الأبد، كما خدم فى جيش النمسا أبان الحرب العالمية الأولى.



ونشر فى عام ١٩٢٢ كتاباً قصيراً مكثفاً صعباً هو «رسالة منطقية فلسفية» [(٢)]

---

(١) قبل طالباً عادياً فى كلية ترنتى بجامعة كمبردج، ثم طالباً بالدراسات العليا - راجع كتاب الدكتور عزمى إسلام عن «ﭬتجنشتين» فى توابغ الفكر الغربى (المترجم).

(٢) ترجمه الدكتور عزمى إسلام وراجعه الدكتور زكى نجيب محمود ونشرته مكتبة الأنجلو المصرية عام ١٩٦٨ (المترجم).

وتبدأ الرسالة بهذه الكلمات : «العالم هو جميع ما هنالك». ولقد تبنى فتجنشتين فى البداية «الذرية المنطقية» عند رسل التى تذهب إلى أنه لابد من تفتيت العبارات لكى نكشف عن تعقيدها المنطقى. وقد حاول أن يبيّن أن المعنى يستمد تماماً من عبارات منطقية ذرية تشكل صورة دقيقة لما يسميه بطريقة مربكة «الوقائع الذرية» عن العالم.

وهذه المقدمة تعنى أن هناك حدوداً لكل أنواع الأفكار ذات المعنى التى يمكن أن نجدها فى اللغة. ولا تنشأ المشكلات الميتافيزيقية إلا بسبب محاولات الفلاسفة المستمرة «أن يقولوا مالا يمكن أن يقال» ولهذا تنتهى الرسالة بهذه العبارة «ما لا يستطيع الإنسان أن يتحدث عنه، ينبغى عليه أن يصمت عنه».

معنى المعنى :

تخلى فتجنشتين بعد ذلك عن محاولته «الذرية» الأولى لكى يحل «مشكلة المعنى». وبدأ يتساءل عن جميع البحوث الفلسفية التقليدية عن العمومية أو «الماهيات»، وهذا المنظور الجديد المختلف تماماً هو تفكير وصفى، ثم نُشر له فى النهاية، كتاباً بعد وفاته هو «بحوث فلسفية» عام ١٩٥٣(١).



هذا ليس فيلسوفا.

ولذلك فلما كان هناك كلمة مفيدة عن تصور الفن، فليس ثمة مبرر للبحث فى «الشىء الجوهرى» الذى يضفى على كلمة «الفن» معناها، أو كيف يوجد هذا التصور فى الذهن.

إن الناس يستخدمون كلمة «الفن» فقط لتشير إلى كثير من الأنشطة المختلفة والأعمال الفنية التى تشترك فى «تشابه الأسرة الواحدة».

---

(١) ترجمة الدكتور عزمى إسلام ونشرته جامعة الكويت (المترجم).

الألعاب اللغوية :

اللغة سلسلة من أنواع مختلفة «من الألعاب» لكثير من الأغراض والأهداف المختلفة، والمعنى هو نتيجة العرف الاجتماعى المتفق عليه بين الناس، أنتجتها أشكال الحياة، ولايمكن أن تقوم لها قائمة «خارج اللغة». وهذا يعنى أن اللغة مستقلة ذاتياً، وتنتشر فى العالم بحرية. لقد تبنى فتجنشتين نظرة علاجية للخطاب الفلسفى الذى اعتقد أنه نوع من المرض. إن إنتاج اللغة «يتم يوم الإجازة» لدرجة أن اللعبة اللغوية الواحدة تختلط باللعبة الأخرى.



أفكار خاصة :

فلسفة فتجنشتين المتأخرة عن الذهن هى أيضاً معارضة للفلسفة الديكارتية. فهو يعتقد أن الفكر لغوى. واللغة هى نتاج اجتماعى، ومن ثم فإن الوعى لايمكن أن يكون «خاصاً». وهذا يعنى أن سعى «الشخص الأول» الفينومينولوجى عن «اليقين» قد أسيىء تصوره. لقد كان ديكارت وعدد من الفلاسفة من تلاميذه يقنعون دائماً بأن تجارب الشخص الأولى هى بطريقة ما أكثر «مباشرة» ويقيناً من تجاربه الأخرى. غير أن الحديث أو الكتابة عن التجارب الذهنية يعنى استخدام لغة عامة ذات قواعد متفق عليها اجتماعياً تضع فى آن واحد المعنى والإشارة.



نظرية فرويد عن اللاشعور :

الحل «العلاجي» الذى وضعه فتجنشتين لأمراض الفلسفة اللغوية مدين بشىء ما لمفكر نمساوى آخر هو «سجموند فرويد (١٨٥٦-١٩٣٩) مؤسس التحليل النفسي. نظرية فرويد المؤثرة غاية التأثير عن بناء اللاشعور الجنسى، انبثقت من فسيولوجيا الأعصاب، ومن الممارسة الإكلينيكية. غير أن الفكرة التى تقول: إننا كثيراً ما لا نشعر بعملياتنا الذهنية، كانت معروفة بالفعل عند فلاسفة القرن التاسع عشر من أمثال شوبنهور. ولقد ذهب فرويد أبعد من ذلك فافترض أن الحضارة نفسها لم تكن ممكنة إلا بكبت الدافع الجنسى على مستوى لاشعورى، وهى وجهة نظر قوضت السعى الفلسفى وراء عقلانية موضوعية.



كان جان بول سارتر من بين الفلاسفة وعلماء النفس الذين رفضوا اللاشعور عند فرويد على أنه لايمكن التحقق منه تجريبياً.

فلسفة اللغة المألوفة :

اعتقد فتجنشتين أن المهمة العلاجية للفيلسوف المعاصر هى أن يبيّن للذبابة طريق الخروج من الزجاجة». أو أن يبيّن أن معظم المحيرات والألغاز الفلسفية ليست سوى نتيجة للخلط والغموض اللغوى. ج.ل. أوستين (١٩١١ـ١٩٦٠) الأستاذ فى جامعة أكسفورد فى فلسفة اللغة المألوفة أو اللغة الجارية، قد فتح الكثير من «الزجاجات للذبابة» اللغوية. وكان المهم عنده أن يفحص بالتفصيل كيف تُستخدم أفكار مثل «الإدراك الحسىّ» و«المعرفة» فى لغة الحديث الجارية. ولقد أدخل «أوستين» مفهوم أفعال الكلام الأداتية. وهذا يعنى بإيجاز أننا لا نقول شيئاً ما فحسب، وإنما نفعل شيئاً ما، فلو أننى قلت لشخص ما: «يبدو أنها ستمطر» فإننى أقوم بسلسلة من الأفعال.



فلسفة العلم :

قسمة الفلسفة إلى فلسفة «تحليلية» وفلسفة «القارة» هى ـ كما رأينا ـ أبعد ما تكون عن الدقة والتحديد. وهى على أية حال أقل أهمية من الاعتراف بأن العلم يبدو أنه كُتبتْ له السيادة فى القرن العشرين، فالعلماء ـ وليس الفلاسفة ـ قد غيّروا طريقتنا فى الحياة، ومعرفتنا للعالم، وآراءنا عن أنفسنا.



هناك جميع أنواع العلماء يرتدى بعضهم معاطف بيضاء، ويستخدم أجهزة تكنولوجية للرؤية غالية الثمن، وبعضهم الآخر يكتب على السبورة مادة رياضية لايمكن فهمها. لكن يعتقد عموماً أنهم جميعاً علماء، لأنهم يستخدمون نوعاً ما من «المنهج» العلمى الخاص الذى ينتج نوعاً فريداً من المعرفة. ويعتقد عادة أن المعرفة العلمية معرفة «كلية»، ويمكن أن تكمم؛ «تجريبية» ذات قوة تنبؤية، فضفدعة العالم ينبغى أن تكون قادرة أن تنبئنا بشىء عن جميع الضفادع.



المنهج الاستقرائى :

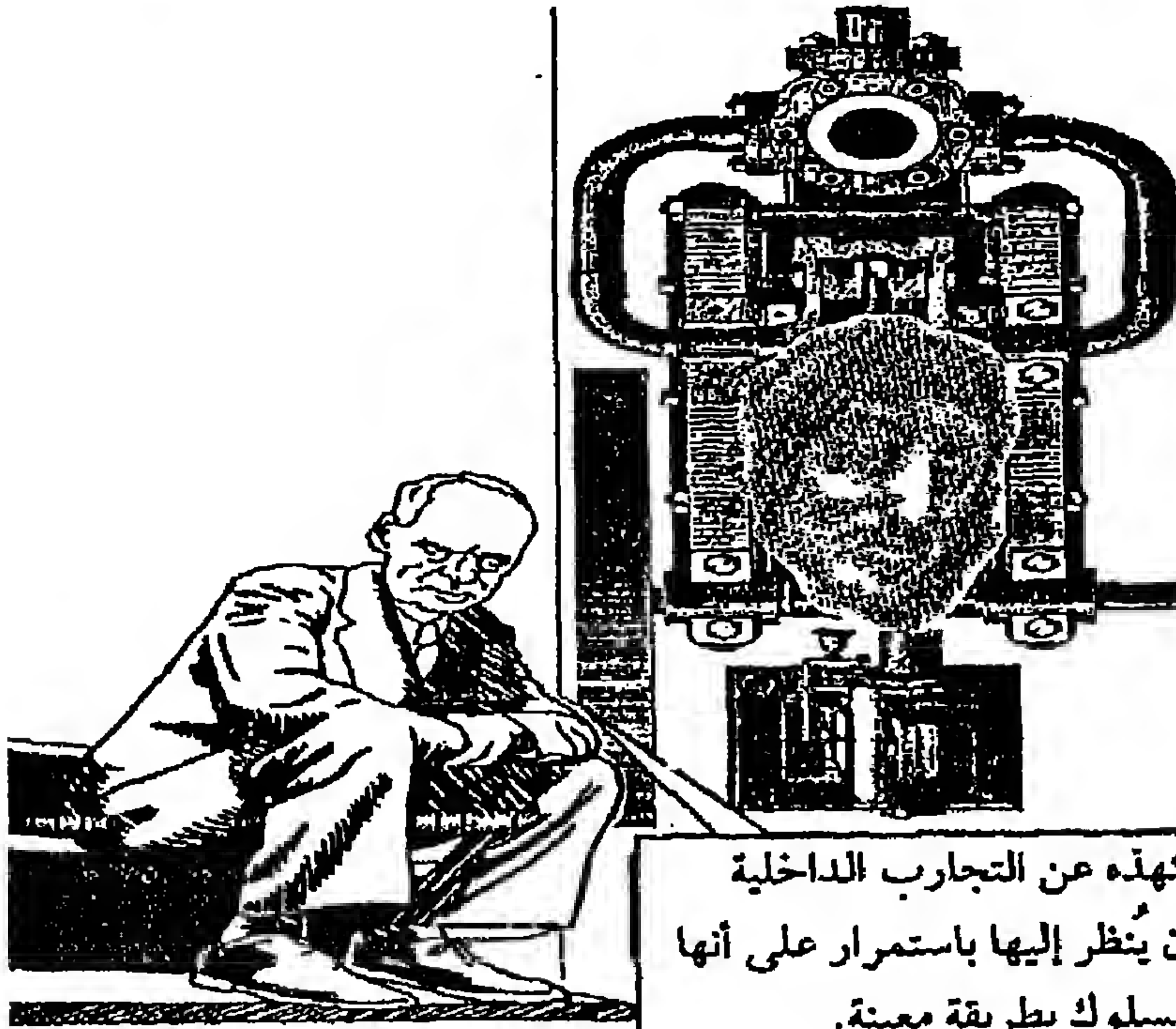
وعلى ذلك، فمن أين يحصل العلماء على نظرياتهم ؟ الاستقراء هو أحد «المناهج» العلمية الواضحة. فالعلماء الذين يلاحظون ويختبرون كمية كبيرة من الضفادع وهى تسبح وتمشى فى ظروف مختلفة، ثم ينتجون فى النهاية «نظريات عن البرمائيات». لكن الفيلسوف ديفيد هيوم أكثر منذ أكثر من مائتين من السنين ذهب إلى أن الاستقراء لا يقدم سوى الاحتمال وليس اليقين.



لكن هل الرؤية هى البرهنة ... ؟ إن ما نراه كثيراً ما يكون متأثراً بظروف ثقافتنا وتربيتنا، فمن الصعب أن نهرب من أحكامنا السابقة عن العالم. ومن المستحيل كذلك أن نصف ما نراه فى لغة تكون «موضوعية».

الشبح فى الآلة :

كان جلبرت رايل (١٩٠٠-١٩٧٦) فيلسوفاً مؤثراً آخر، من جامعة اكسفورد. وصل كذلك إلى نظرة موازية للتصورات المألوفة، من خلال التجريبية البريطانية، كما كان له اهتمام بالظاهريات عند برنتانو وهوسرل. وكثيراً ما يرتكب الفلاسفة ما يسميه «رايل» قائمة أخطاء فى كتابه «مفهوم الذهن» (عام ١٩٤٩). والمثال الشهير هو أسطورة ديكارت للذهن (النفس) الذى لا جسم له، ولديه أفكار خاصة، وذلك يشبه «الشبح فى الآلة»[١].



لقد اعتنق رايل نظرة سلوكية من الناحية الفلسفية تقول: إن المصطلحات الذهنية لابد أن تترجم باستمرار إلى إحساسات فيزيقية. وهذه النظرة السلوكية للغة والمعنى، ربما كانت مقنعة، إذا كان كل حديث عن الإحساسات والأفكار يشير دائماً إلى تلك الإحساسات والأفكار عند الآخرين. وذلك يعنى أنه غير مقنع كتفسير.

---

(١) تعبير «الشبح فى الآلة» أو «الالة فى الالة» مستمد من المسرح اليونانى عندما كانت تتعقد أحداث المسرحية فيهبط تمثال للإله بحبل من سقف المسرح ليقوم بحل العقدة، واصبح الآن يستخدم للدلالة على الحل الخرافى لحل المشكلة المعقدة (المترجم).

ليست الرؤية عبارة عن تقبل سلبى للمعطيات الحسية، لكنها عملية أشد تعقيداً فهى مركبة من عمليات : الاستقبال، والانتقاء، وتصنيف المعلومات.



ومما لاشك فيه أن لدى علمائنا بعض الافتراضات السابقة عما تكونه الضفادع، وماذا تعنى السباحة، وكم عدد الضفادع التى يحتاجون إلى رصدها ... إلخ. قبل أن يخرجوا لنا نظرياتهم الجديدة. فأى علم يقوم على الاستقراء لن يكون أبداً علماً يقينياً، وستكون لديه باستمرار مشكلة مع أساسه التجريبى البشرى المشكوك فيه.

ظرية التكذيب :

لقد ذهب كارل بوبر (١٩٠٢-١٩٩٤) إلى أن «نظرية التكذيب» سوف تكون طريقة فى التفكير معقولة أكثر حول الإجراءات العلمية، ففى رأيه أن النظريات العلمية لابد باستمرار أن تكون مؤقتة، فالعلماء الحقيقيون لابد أن يقترحوا على الدوام طرقاً يمكن بواسطتها «تكذيب» نظرياتهم، بملاحظات جديدة مناقضة.



غير أن التكذيب بوصفه منهجاً علمياً مشاكله الخاصة. فإذا كانت ملاحظاتنا للعالم هي ذاتها باستمرار «مثقلة بالنظرية»، فلماذا تبطل ملاحظة واحدة في الحال نظرية علمية معقدة ؟ وكيف يمكن لنا أن نعرف أيهما نثق به ؟ إن النظريات العلمية معقدة، ويعتمد بعضها على بعض. وعلى ذلك فليس من السهل باستمرار تكذيبها، بملاحظة مفردة. ويكشف لنا التاريخ أيضاً عن علماء كثيراً ما كرهوا التخلي عن نظرياتهم المفضلة لأن ملاحظة واحدة تناقضها، ولقد كانوا، في بعض الأحيان، على حق تماماً في عنادهم ـ لكن ليس دائماً.



توماس كون :

كان العلم عند «بوبر» أشبه بالمصعد الشارد وإن كان منظماً، بحركة العقل (الذى يتقدم بالتدريج نحو تراكم «الحقيقة» العلمية. ولقد تحدى توماس كون (ولد عام ١٩٢٢) هذه النظرة التقدمية الساذجة للعلم، ونظر بإمعان فى تاريخ العلم وتساءل : كيف يمكن لأى جماعة من العلماء أن تمارس فعلاً عملها فى فرعها الخاص ؟



غير أن النماذج تتغير تغيراً جذرياً. أو «تتبدل» فى مجرى التاريخ، فقد كانت النماذج الكسمولوجية : «أرسطية، وبطليموسية، وكوبرنيكية، ونيوتنية» والمتداولة الآن أينشتينية.

فلمـاذا ، إذن، تتغيـر النماذج ؟ لأن النمـوذج سوف تتـراكم معـه الألغاز بغـير حل، وليس الحقيقة، التى تنشأ من تحديات يطرحها العلماء أنفسهم. فمزاعم جاليليو أو أينشتين أوصلت النماذج السائدة فى عصرهما إلى أزمة.



أنظمة الإيـمان العلمى حـول الأجرام السمـاوية أو أشعـة الضوء سـوف تنهار إذن، وسوف تكون عـاجزة عن أن تتكيف مع الأفكار الجـديدة. ويصر كون علـى أن تقدم العلم إنما يتم على شكل تغيـرات ثورية مفـاجئة، وليس عن طريق بعض العـمليـات التطورية المنهـجيـة. ولا يختـلف الإيمان العلمى عـن الإيمان الدينى. فـالعلم الجـديد لا يقبل قـوة الإقناع بشواهد جديدة مثيرة، بل بسـبب أن العلماء القدامى يموتون، ويحل محلهم علماء من الشباب.

الفوضوية الابستمولوجية :

شعر العلماء أن «كون» يهدد عقلانية العلم وتقدمه، والأمر ليس كذلك، بل ربما كان معظم النقد الجذري للعلم هو الذى وجهه النمساوى المولد «بول فيير بند» (١٩٢٤ـ١٩٩٤) فهو فى كتابه «ضد المنهج» عام ١٩٧٤، وهو يفسر تطور العلم، يشدد على كثرة من النظريات المتنافسة أو ما أطلق عليه اسم «الفوضوية الابستمولوجية»



فمن الحمق أن نتوقع أن العلم الذى هو خلاق لكونه من الناحية الداخلية متكثراً وفوضوياً، يمكن أن تحكمه مجموعة من القواعد المنهجية المحددة التى يمكن اكتشافها، وفضلاً عن ذلك فليس هناك ما «يسمو» أساساً على المعرفة العلمية.

من الحداثة إلى ما بعد الحداثة :

تبدأ الفلسفة الحديثة بمحاولة ديكارت اكتشاف حقيقة مؤكدة ويمكن التحقق منها أساس تجريبى ولا أهمية للقدر الذى يمكن التضحية به من الواقع بأهدافه العملية. وعنده أن هذا الأساس لابد أن يكون «الكوجيتو Cogito» «أنا أفكر، إذن، أنا موجود».



وتصاعدت الشكوك فى وجود الذات، والحقيقة الموضوعية، ومعنى اللغة منذ ديكارت، ويمكن التعرف عليها فى «أزمة» المعرفة التى تسمى الآن بحالة ما بعد الحداثة.

ثلاث "إذا" كبيرة لما بعد الحداثة :

ربما كان في استطاعتنا أن نفهم فلسفة ما بعد الحداثة على نحو أفضل على أنها تسيطر عليها ثلاث «إذا» كبيرة هي كالآتي :

- إذا كانت الأفكار البشرية لم تعد مضمونة على أنها أفكارنا نحن ...

- إذا كانت اللغة التي نفكر بها لا يمكن أن تشير بطريقة ذات معنى إلى العالم الذي يقع خارج ذواتنا ...

- إذا كانت معاني الدلالات اللغوية المستقلة ذاتياً تتبدل باستمرار ...

فلابد إذن أن تحمل أنباء سيئة للفلسفة ، والمنطق ، وحتى للعلم نفسه ...



نيتشه : وهم الحقيقة :

بذور النزعة الشكية لما بعد الحداثة كانت موجودة باستمرار داخل الفلسفة الغربية، حتى منذ «اقراكليوس» الذى رفض أن يتكلم لأنه كان يعتقد أن معانى كلماته لا يمكن أن تستقر على حال، ويمكن أن نجد الأب المعاصر والأشد وضوحاً لما بعد الحداثة وأعنى به: نيتشه، الذى أصرَّ على أن اللغة لا يمكن إلا أن تكون دائماً مجازية.



كان نيتشه يعتقد أن ما نحسبه «معرفة» ما هو ببساطة إلا الأقوى المفروض على كل شخص آخر. علينا أن نحترس من القصص الخيالية الخطرة التى تضع معرفة ذاتية بلا ألم، وبلا زمان، وشراك المفاهيم المتناقضة مثل «العقل الخالص» و«المعرفة فى ذاتها».

اللغة والواقع :

النزعة الشكية لما بعد الحداثة ليست مجرد نزوة، لكنها نتيجة ضرورية لمسار التاريخ، لقد رأينا الكثير من الحجج المعقدة عن اللغة، والمعنى، والمعرفة في رحلتنا في الفلسفة الغربية. وهناك ثلاثة فلاسفة معاصرين مختلفين أتم الاختلاف هم : هيدجر، وفتجنشتين، وجاك دريدا كانت لديهم شكوك حول العلاقة بين اللغة والواقع.



ما الذى يقولونه حقاً ...؟

<u>هيدجر</u> : بوصفنا موجودات بشرية، فلن نستطيع أبداً أن نفصل بين اللغة والواقع.

<u>فتجنشتين</u> : ليس ثمة سوى «ألعاب لغوية» محلية، والفلسفة الغربية مثال على ذلك.

<u>دريدا</u> : اننا نستخدم اللغة للتفكير والاتصال. لكن ليس لدينا طريقة موضوعية نعرف بها علاقاتها بأى «واقع» خارجها. فأفكارنا تقع فى «شراكها».

نسق الإشارات :

فرديناند سوسير (١٨٥٧-١٩١٣) عالم لغويات سويسرى هو الذى أسس البنيوية وعلم الرموز والعلامات، فقد تخلى عن البحث فى «معنى» اللغة، واختار بدلاً من ذلك وصف وظيفة استخدامها، فالمعنى اللغوى لايستمد من الأشياء المناظرة «هناك فى الخارج» بل من العلاقات بين الإشارات ذاتها ووضعها داخل نسق الكلمات الدالة.



أو كما يقول سوسير فى عبارة أخرى : «لايوجد فى اللغة سوى فروق واختلافات بدون ألفاظ محددة».

البنياويون :

ألهم «سوسير» نقاد البنيوية فى ستينات القرن العشرين، لاسيما فى فرنسا، الذين بدءوا فى دراسة الفلسفة بوصفها شكلاً معيناً من أشكال «الخطاب» بين أشكال أخرى. وكل خطاب يشارك فى نسق الإشارات الذى تكون فيه السمة البنائية الرئيسية رمزاً «لأضداد ثنائية» فمثلاً مفهوم «النفس» يستمد مغزاه من ضده «الجسم»، كما يستمد «النور» معناه من «الظلمة»، و«الطبيعى» من «الثقافى» ... إلخ. ويؤكد عالم الأنثربولوجيا كلود شتراوس (ولد عام ١٩٠٨) أن نسق الرموز الثنائية يعمل فى جميع الثقافات على أنه منطقها الشائع.



رأى البنيويون أن العالم منظَّم فى أنساق متشابكة ومرتبطة «ببنى عميقة» ورائية لها «نحوها» القابل للتحليل. وهذه النظرة طرحها فى أواخر الستينيات مفكرو «ما بعد البنيوية» رولاند بارتيز (١٩١٥-١٩٨٠) وجوليا كريستفا (المولودة عام ١٩٤١)، وبصفة خاصة جاك دريدا (المولود عام ١٩٣٠).



وظيفة الناقد أو الفيلسوف هو التعرف على نسبة «التفويت» فى المعنى، و«قراءة النص فى مقابل نفسه».

دريدا والتفكيكية :

الدرس الذى قدّمته ما بعد البنيوية طُبِّق على النصوص الفلسفية. وكانت استراتيجية دريدا هى «التفكيك»، وهو ليس منهجاً، لكنه يشبه كثيراً العلاج بالمعنى الذى استخدم فيه فتجنشتين هذا اللفظ، فهو لايسعى إلى «المعنى الحقيقى»، إلى الوحدة، بل إلى الكشف عن المعانى المتعددة التى هى فى حرب لا شعورية بعضها مع بعض فى النص. وما يُعرض على أنه «لاشعورى» هو الأقطاب الثنائية التى تدعم الافتراضات الميتافيزيقية.

أحد العناصر فى أى تضاد ثنائى هو باستمرار يمتاز على الآخر.

الرجل - المرأة
النور - الظلمة
العقل - العاطفة
الحضور - الغياب

المصطلحات المميزة «تنزلق» إلى المذاهب التى تنتج هيراركية (تصاعدية) اجتماعية وثقافية.

مركـزيـة الـلـوجـوس Logocentrism [(1)]:

تنقّب التفكيكية عن التناقضات الداخلية والتفاوت في المعنى في أي نص لتـذكـرنا أن «المعـاني» الجـارية هي فحسب تلك التي تقيـمها الأيديوليـجيـات السياسـية والثقافيـة السائدة. والمشكلة في رأى دريدا هي مشكلة «الهوية الخـاطئة» فقـد افترض الفلاسـفة باستـمرار أن الكلمـات توصل المعنى وأنهـا حـاضـرة في الذهن بلا غموض أو التباس.



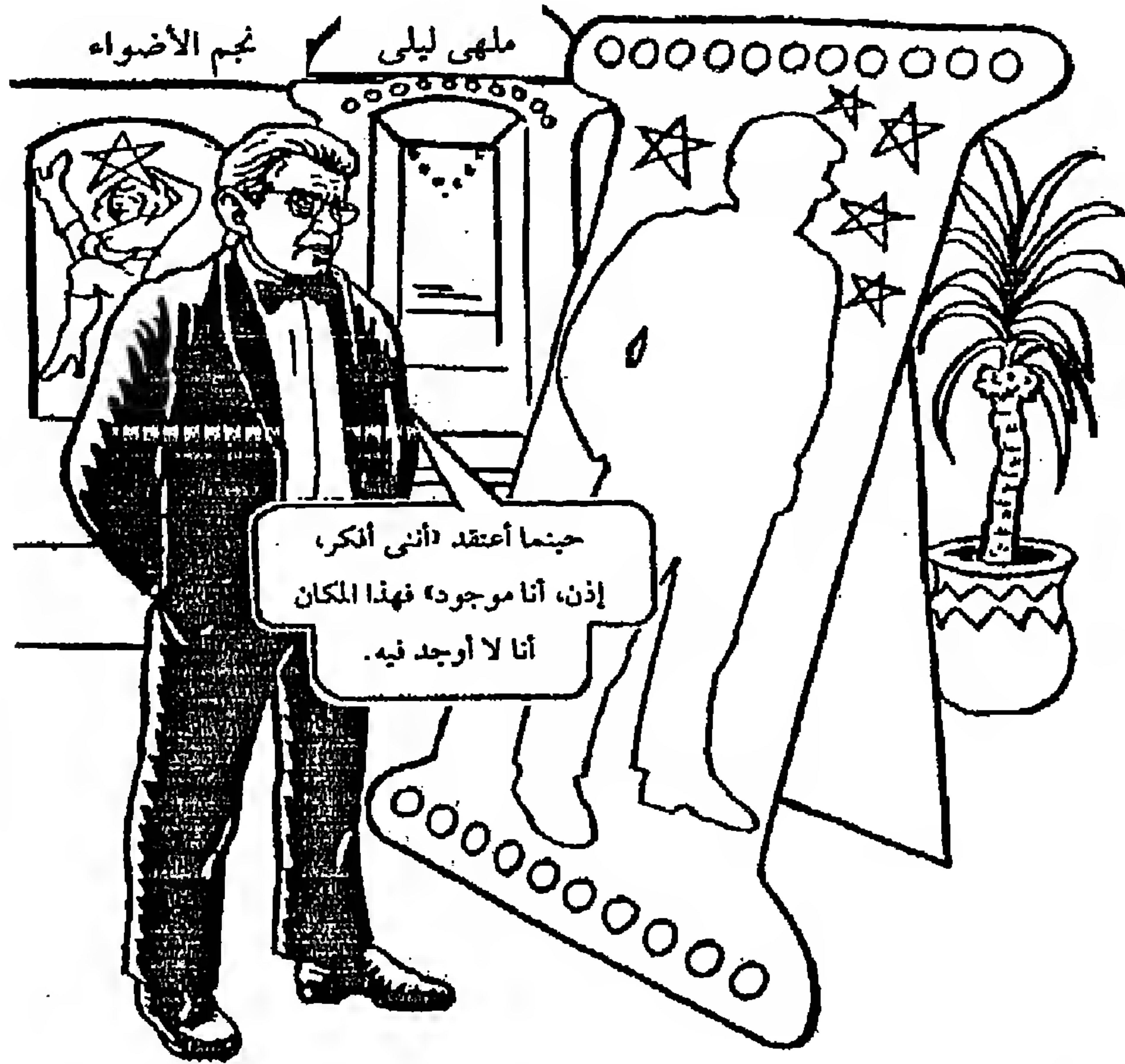
تعتمد الفلسفة على علاقة واحد ـ بواحد بين الكلمات والمعانـى كضمان للحقـيقة، وذلك هو خطأ التركيز على اللوجوس Logocentrism التي تستطيع ـ في رأى دريدا ـ أن تصنع «لغـة العقل» وهي سلطوية تستطيع أن تقهر وتسـتبعـد كل ما هو مختلف أو غير مناسب.

(١) مركـزية اللوجوس (من الكلمـة اليونانيـة لوجوس Logos التي تعني الكلمـة) ـ مصطلح ظهـر في الفلسـفة اللاعقلية على يد الفيلسوف الألماني «لودفيج كلاجز» (١٨٧٢ـ١٩٥٦) الذي كـان من رواد المذهب الحيوي ـ واللاعقلانيـة التي تأثرت بالفلسفة الرومانسية ونيتشه . وهو يعني به الموقف العـقلي والعلمي والآلي الفحل، الذي لايكترث ـ أو يعادي ـ كل شيء حي نابض متدفق بالحياة.

وهو يعني عند جاك دريدا الافتـراض الشائع المنتشر ـ لكنه خطأ ـ الذي يقـول: إن الكلام يسبق الكتابة. ويشك دريدا من أن الكتابة مكبـوتة في الفكر الغربي. ويكمن الخطأ في افـتراض أن هناك شيئاً خارج النص هو الذي يُضفي عليه المعنى المحدد، وهو افتراض شائع في كل صور المذهب المثالي (المترجم).

الذات غير الموجودة :

سدد «دريدا» ضربة إلى «مذهب الأساسيات» وهو مذهب يرى أن هناك معتقدات أساسية مبررة ذاتياً. وصخرة القاعدة التى تمثل الاعتقاد الأساسى فى الفلسفة الحديثة هى «كوجيتو» ديكارت. ولقد ذهب عالم التحليل النفسى جاك لكآن (١٩٠١ـ١٩٨١) إلى فكرة مزعجة تقول: إن «الذات» افتراض مختلق. يقوض البحث الديكارتى والفينومينولوجى عن اليقين الذى يضرب بجذور فى ذات أساسية. إن الهوية الخاصة والفريدة ليست سوى وهم مفيد يزودنا بالإحساس بالأمان ويضفى معنى مترابطاً إلى حد ما على تجاربنا التى تتبدل وتتغير.



ويزعم «لكآن» أن أعمق جزء فينا، اللاشعور، مبنى مثل اللغة، وإلى أن يصل الطفل إلى اكتساب اللغة، يدخل العالم الاجتماعى ويصبح «أنا».

نهاية الحكايات العظيمة :

وما بعد الحداثة تأخذ الفلسفة أيضاً إلى آفاق التاريخ الاجتماعى والسياسى. وفى هذا السياق نجد جان فرنسوا كويتارد (١٩٢٤-١٩٩٨) يقوض أسطورة «أساسية» أخرى حاسمة وهى: فكرة التقدم نفسها التى كانت منذ عصر التنوير أحد المبادئ التى يطبقها العقل. ولقد ورثت الحداثة فى القرن العشرين بسذاجة وبطريقة مشئومة - إيمان عصر التنوير «الحكايات العظيمة» عن التحرر، وثراء الخلق والحقيقة الكلية. ويذهب كويتارد فى كتابه «وضع ما بعد الحداثة» (عام ١٩٧٩) إلى أن هذه الحكايات العظيمة» عن تنظيم المجتمع تنظيماً عقلياً قد انهارت.



لقد عانينا من الفاشية، ثم رأينا نهاية الشيوعية، ونشاهد الآن أساليب المافيا فى الاقتصاد ، وجشع السوق الحرة، والكوارث البيئية على اتساع هائل. وإذا كانت هذه هى النتائج النهائية «للعقل الموضوعى» فلابد أن يكون فيه شىء خطأ.

فوكو : لعبة السلطة :

ولقد ذهب ميشيل فوكو (١٩٢٦ـ١٩٨٤) وهو مفكر رئيسى آخر من مفكرى ما بعد الحداثة إلى أبعد من ذلك. ففى رأيه أن القوة والمعرفة متواطئتان بالتبادل فى ارتكاب الجريمة، فأنظمة الضبط الاجتماعى قد تطورت جنباً إلى جنب مع العلوم الإنسانية منذ عصر التنوير فى القرن الثامن عشر. واشتركت الفلسفة أيضاً فى لعبة السلطة هذه، سلطة السيطرة على الآخرين بتهميشهم.



إن «المعرفة» المؤسسة هى أداة السلطة التى تعالج «المجنون» و«المجرم» و«الشاذ جنسيا».

عالم الواقع المغالى فيه:

قدّر مفكرو ما بعد الحداثة قيمة العديد من وجهات النظر، وتحدّوا على الدوام جميع الأنظمة المشروعة، وكثيراً ما يكون العالم الذى يقدّمونه لنا هو عالم من شذرات، عالم الواقع المغالى فيه، عالم الكابوس، على نحو ما وضع نظريته جان بودريار (المولود عام ١٩٢٩).

لقد أصبحت الفلسفة تهجو نفسها ومن هنا جاءت وجهات نظرها المتعددة المشوشة، التى تلفت الانتباه عن عمد لانزلاقها فى دلالاتها التى تطوف بحرية ليست دائمًا واضحة أو مسلية للقراءة.

لكن كيف يمكن لما بعد الحداثة أن تفلت من المفارقة المألوفة لتواجه جميع الشكاك؟!

كيف يمكن أن تدعى العقل دون أن تعتمد على الحد الأدنى من العقل ...؟

ماذا عن العلم ؟

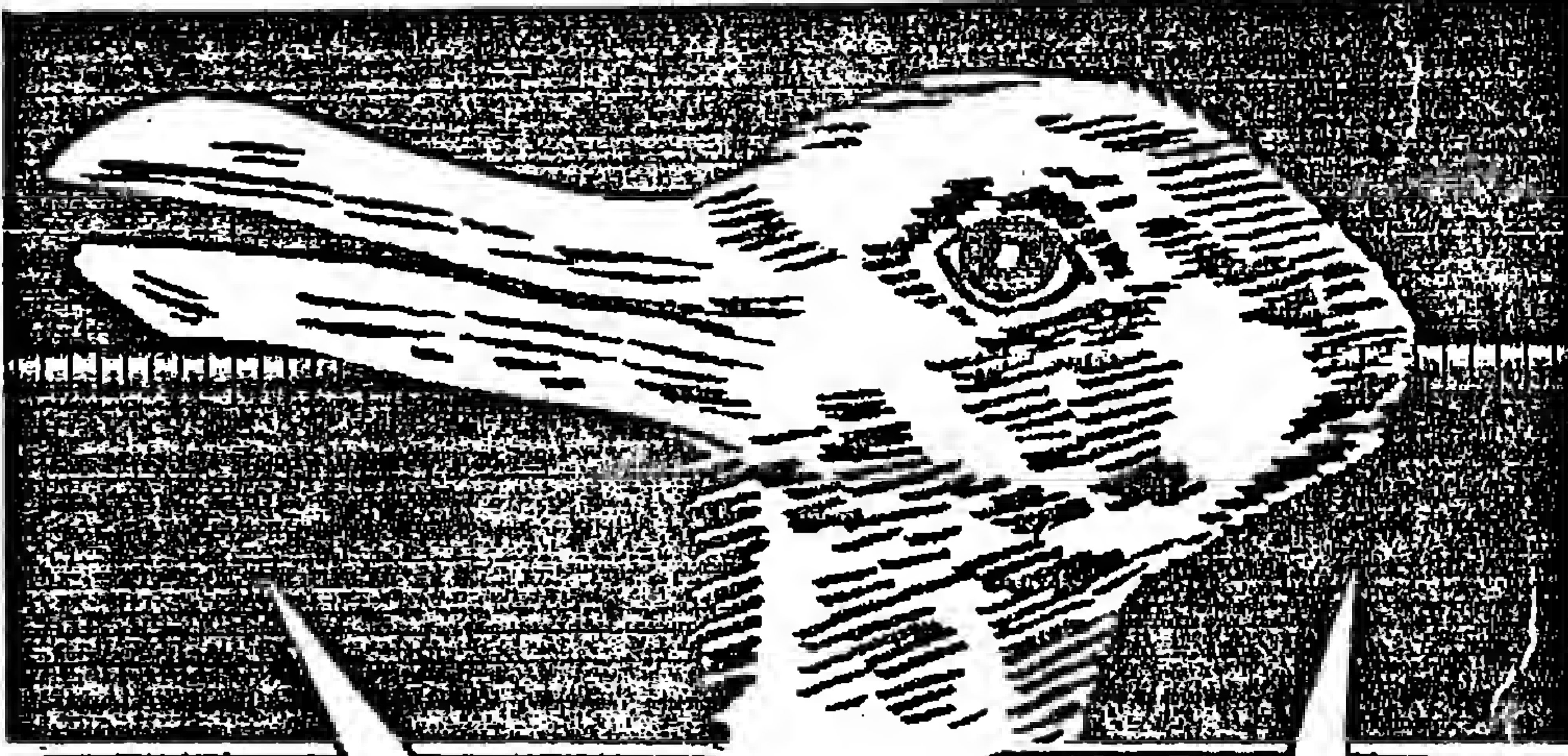
ليس ثمة فرع من المعرفة البشرية يفلت من هذه النسبية الراديكالية اللاذعة. العلم والمنطق متهمان على نحو متشابه بأنهما «منشآن» ـ فهما مجرد تأويلات للتجربة؛ ليس ثمة واقع كلى لا زمان له، ولا معرفة يقينية به كذلك.



معظم العلماء المعاصرون يتهربون الآن بلباقة عندما يسألون عن «الحقيقة» العلمية. لأنهم يعترفون أن المعرفة العلمية هى دائماً مؤقتة. وربما اعترف الكثيرون أنهم لم يعودوا يؤمنون بطبيعة منظمة «بقوانين» ثابتة يكشفها علماء موضوعيون. فنظرية أينشتين فى النسبية. ونظرية «بور» فى الميكانيكا الكمية ـ ومبدأ اللايقين عند هايزنبرج، ذلك كله جعل دور الملاحظ مركزى وأساسى للمعرفة العلمية، وإذا كان "كون" على حق فإن العلماء يشبهون المؤمنين بالدين أكثر من أن يكونوا باحثين محايدين، فالعلم عندهم تتوسطه النماذج المركزية لمجتمعهم والتى نادراً ما تكون عرضة للشك. وتلك هى وجهة النظر النسبية ... لكن هناك وجهة نظر أخرى ...

النظرة الواقعية :

لكن ليس كل العلماء أو الفلاسفة مقتنعين بالنزعة الشكية لما بعد الحداثة. فكثيرون منهم لايزالون يرفضون تماماً النظرة التى تقول ان المعرفة العلمية التى تظهر على «يد» العلوم الطبيعية، ليست سوى «خطاب بين خطابات أخرى» أو «منشأ» اجتماعى يرتبط بنظرة غربية خاصة إلى العالم.



لا أحد يمكن أن يفكر أن المناهج التجريبية تؤدى بنا إلى أشياء طيبة فى ميدان الكسمولوجيا، وعلم الوراثة، وميادين أخرى كثيرة، وربما كانت الأميال، والثوانى، وفعل القياس هى «بناءات اجتماعية» لكن سرعة الضوء وهى واقعة علمية حقيقية تماماً تبقى فى عناد ١٨٦ , ٢٨٢ , ٣٤ ميلاً فى الثانية، مستقلة عمن يعرفها ولن تضيع هباء.

راقب هذا الفضاء !!

لمحة عن الفلسفة الغربية :

الإبيستمولوجيا : ماذا يمكن أن تعرف ؟ وبأي درجة من اليقين ؟

المعرفة «القَبلْية»
بالتصورات، والأفكار
والعقول :
أفلاطون: الرياضيات،
الصور، الفطرية، اليقين
ديكارت: يقين الفكر
الواعي، الرياضيات والله
كانط: المثالية الترنسندنتالية:
تجربتنا بالعالم مبنية بواسطة
جهازنا التصوري الفطري
هيجل: ستكون المعرفة
البشرية باستمرار دينامية،
تاريخية

البرجماتية الأمريكية:

بيرس، جيمس، ديوي
لابد أن تكون للمعرفة قيمة
فورية

فلسفة العلم

بوبر : نظرية التكذيب
كون : النماذج
فيرباند : ضد المنهج

الظاهريات

برنتانو، وهوسرل

المعرفة التجريبية بالعالم الخارجي

أفلاطون :
نسخ من الدرجة الثالثة
لايوثق بها.
أرسطو :
الملاحظة والاستقراء
فرنسيس بيكون :
الاستقراء والعلم
ديكارت :
الحواس لايمكن الثقة بها

التجريبيون البريطانيون

لوك :
الكيفيات الأولية والثانوية
باركلي
ليس هناك عالم «خارجي»
(المثالية)
هيوم :
معرفتنا سيكولوجية أكثر
منها منطقية.

الأخلاق :

السوفسطائيون :
النسبية
نظرية العقد
سقراط : الفضيلة علم
أفلاطون : الخير وخبراء

المنطق، واللغة والمعني والفكر

بارمينيدس :
أهمية العقل
أرسطو :
المنطق الاستنباطي
أبيلارد :
الاسمية والكليات

الفلسفة التحليلية

فريجه ورسل :
المنطق الرمزي والرياضيات
المعني والاشارة.
الذرية المنطقية :
المعني مستمد من امكان
الاختبار.
فتجنشتين :
سحر اللغة والألعاب
اللغوية
أوستين :
اللغة الجارية وأفعال الكلام
ش. بيرس :
مبحث الرموز
البنياويون :
ليفي شتراوس
مابعد البنيوية :
بارتيز

التقصي عن الوعي
هيدجر وسارتر
لكي تكون موجوداً بشرياً
فهناك أكثر من الوعي

السياسة الطبيعة البشرية
السلطة والحقوق

أفلاطون :
الدكتاتورية المعتدلة
أرسطو :
الديمقراطية زائد الرق
ميكافللي :
حكام لايرحمون
هوبز :
العقد الاجتماعي
روسو :
الإرادة العامة
هيجل :
الدولة البروسية
ماركس :
الصراع الجدلي
جرامشي، وماركيوز وفوكو
سلطة الدولة
الأيديولوجية

مابعد الحداثة :ـ
اللغة ، تحتوي على ذاتها
نسق اعتباطي من الاشارات

الأخلاق
أرسطو :
الأبيقوريون والرواقيون
الأخلاق مهارة عملية
اللاهوتي المسيحي
الأمر الإلهي
هيوم :
بين ما هو كائن وما ينبغي
أن يكون «هوة» فلا يمكن أن
تكون هناك وقائع أخلاقية.
كانط :
الإلزام الأخلاقي: الواجبات
مستمدة من العقل
النفعيون : السعادة العامة
سارتر :
الاختيار الفردي والمسئولية.

التفكيكية :
فقدان الثقة في إمكان لغة
منطقية موضوعية أو كاملة
النزعة النسبية
نزعة الشك

الميتافيزيقا الزمان والمكان
السببية، الظاهر والحقيقية

الله.
الفلاسفة السابقون على
سقراط :
مم يتركب الكون ؟
الماء ؟ الهواء ؟ النار؟
الرياضة ؟ الذرات ؟
أفلاطون : والمثل
أرسطو والعلل الغائية
آباء الكنيسة والفلسفة
الاسكولائية أيمكن البرهنة
على وجود الله ؟
ديكارت : الثنائية
المادة ـ الذهن
اسبينوزا : الواحدية ـ جوهر
واحد
ليبتنز : المونادولوجيا
جواهر الموناد
باركلي : المثالية
كانط : عالم الظاهر وعالم
النومين
هيجل : المثالية الجدلية

علاقتها «بالحقيقة» موضع شك

لیونارد

العداء لعبارة «العقل» في عصر التنوير.

دريدا

التفكيكية

لكان : اختلاف الذات

فوكو : المعرفة والسلطة

لكن : ربما كان هناك بعض الحقائق الموضوعية ليست مجرد «بناءات» اجتماعية.

نيتشه :

اللغة مجازية والحقيقة لا يمكننا بلوغها

فتجنشتين:

الفلسفة ليست سوي لعبة لغوية واحدة.

رفضها فويرباخ :

المادية الجذرية

ماركس : المادية الجدلية

الوضعية المنطقية

الميتافيزيقا لغو فارغ

فتجنشتين :

«مالانستطيع أن نتحدث عنه فعلينا أن نلزم الصمت بصدده».

بيرون ، ديوجنز، سكستوس امبريقوس

ديكارت : الشك الديكارتي

هيوم : عن الاستقراء، والسبب و«المعرفة الأخلاقية»، والذات.

قـراءات أبـعـد :

هناك حـذف صارخ للنسـاء الفلاسـفة فـى هذا الكتاب، وحـتى وقت قريب كـانت النساء تُحذف، عن عـمد، من منطقة امتيـاز الرجل أعنى احتراف الفلسفـة. أما الآن فهناك عدد كبير جداً حتى أنه يصبح مشكلة تغطية هذا العدد فى كتاب صغير كهذا الكتاب ، لأن الصورة المنتظرة لما بعد المطالبة بحقـوق المرأة ، سوف تتكفل بعلاج هذه المشكلة، لكن حتى ذلك الوقت فربما أراد القراء معرفـة بعضاً من الشخصيات الرئيسـية منهن : مارى ولستون كرافت، وسيمون دى بوفوار، وحنا أرندت، ومارى وارنوك، ومارى ميجلى، وفليبا فوت، واليازبث أنيكوم، وجوليا كريستينا، ومارثا نوسيوم ، وكثيرات غيرهن.

وفيمـا يلى قائمة بالكتب أرجو أن تكون واضـحة ومفيدة، وهى تـبدأ ببعض المداخل إلى تاريخ الفلسفة الغربية.

History of Western Philosophy, Bertrand Russell, Roultedge, London and New York 1991. Amusing and accessible, but idosyncratic and now rather old.

A Short History of Philosophy, Robert C. Solomon and Kathleen m. Higgins, oxford University Press, Oxford and New york 1996, A very thotough and readable guide. It makes a stab at including philosophies other than those of the Western world, but is hostile to most postmodernist thought.

From Descartes to Wittgenstein, Roger Scruton, Routledge, London and New York 1981. Sometimes quite difficult, but does miraculously make the philosophies of both Hegel and Frege accessible.

A History of Western Philosophy, D.W. Hamlyn, Penguin, London and New York 1988. Avery thorough and sensible, but sometimes quite demanding, guide to the ideas and arguments of key Western philosophers.
Sophie's World,m Jostein Gaarder, phoenix House, New York 1995, Is "a history of philosophy that thinks it's a novel". It's a better history than novel, though.

Individual books in he Oxford University Press **Modern Masters** series are usually excellent on the lives and central ideas of individual philosophers. The one on **Hegel** by Peter Singer is extremely good. Readers who want clear, brief and accessible guides will benefit from the **Introducing** series of classical and postmodern philosophers, of which this book forms a part.

وهناك كتب أخرى كثيرة ومفيدة ومرشدة إلى الفلسفة منها مثلاً:

Philosophy Made Simple, R.H. Popkin and A. Srtoll, London, heinemann, 1986 and Made Simple Paperbacks, New York, 1993.

Introduction to Philosophy, W.J. Earle, Mcgraw Hill, New York, 1992.

Philosophy or Sophia, Brenda Almond, Penguin, London and New York 1988.

Man is the Measure, Reuben Abel, The Free Fress (Macmillan), London and New York 1997.

The Philosopher's Habitat, Lawrance Goldstein, Routledge, London and New York 1990.

Confessions of a Philosopher : A Jouney Through Western Philosophy, Bryan Magee, Random House, London and New York 1998.

Most philosophy students have been rescued at one time or another by **An Introduction to Philosophical Analysis,** John Hospers, Routledge, London and New York 1990, a book which is more fun than its title suggests.

An Introduction to Western Philosophy, Anthony Flew, Thames and Hudson, London 1971. This is a very good book because Flew bullies you into thinking for yourself, and so gets you to understand many key philosophical ideas and arguments. Available via Amazon on the Internet.

The Great Philosophers, Bryan Magee, Oxford University Press, Oxford and New York 1988, is accessible because it consists of a series of dialogues between Magee and some modern philosophers discussing key Western philosophers of the past. Magee makes his guests explain things clearly, most of the time.

Issues in philosophy, Calvin Pinchin, Macmillan, London, and Bernes and Noble, New York 1990, is a good book for anyone foolish enough to think they'd like to study for an "A" Level or equivalent in philosophy.

The Concise Encyclopedia of Western Philosophy and Philosophers, ed . J.O. Urmson and Jonathan Rée, Unwin Hyman, London 1976, is full of short and lucid articles about major Western philosophers and ideas.

The Oxford Companion to Philosophy, ed. Ted Honderich, Oxford University Press, Oxford and New York 1995, is very thorough and invaluable for when you want to find out yet more about the Achilles paradox or the man who invented it, Zeno. It also shows you what some modern philosophers look like.

مؤلفات الأستاذ الدكتور إمام عبد الفتاح إمام

أولاً: التأليف:

١ ـ "المنهج الجدلي عند هيجل" طبعة أولى دار المعارف بمصر عام ١٩٦٩ ـ طبعة ثانية وثالثة دار التنوير ببيروت ١٩٩٣ (العدد الثاني من المكتبة الهيجلية) طبعة خامسة مكتبة مدبولي عام ١٩٩٦.

٢ ـ "مدخل إلى الفلسفة" طبعة أولى دار الثقافة بالقاهرة عام ١٩٧٢ ـ طبعة خامسة ١٩٨٢ ـ طبعة سادسة مؤسسة دار الكتب بالكويت عام ١٩٩٣.

٣ ـ "كيركجور: رائد الوجودية" المجلد الأول (حياته وأعماله) طبعة أولى دار الثقافة ١٩٨٢ ـ طبعة ثانية دار التنوير بيروت ١٩٨٢ (العدد الثاني من سلسلة الفكر المعاصر).

٤ ـ "دراسات هيجلية" طبعة أولى دار الثقافة للنشر والتوزيع عام ١٩٨٤ ـ طبعة ثانية دار التنوير بيروت عام ١٩٩٣ (سلسلة المكتبة الهيجلية).

٥ ـ "توماس هوبز : فيلسوف العقلانية" طبعة أولى دار الثقافة للنشر والتوزيع عام ١٩٨٤ ـ طبعة ثانية دار التنوير بيروت عام ١٩٨٥ ـ طبعة ثالثة عام ١٩٩٣.

٦ ـ "تطور الجدل بعد هيجل" المجلد الأول " جدل الفكر" دار التنوير عام ١٩٨٥ ـ طبعة ثانية عام ١٩٩٣ (العدد ٨ من سلسلة المكتبة الهيجلية) ـ طبعة ثالثة مكتبة مدبولي عام ١٩٩٦.

٧ ـ "تطور الجدل بعد هيجل" المجلد الثاني "جدل الطبيعة " دار التنوير بيروت عام ١٩٨٥ ـ طبعة ثانية عام ١٩٩٣ (العدد ٩ من سلسلة المكتبة الهيجلية) ـ طبعة ثالثة مكتبة مدبولي ١٩٩٦.

٨ ـ "تطور الجدل بعد هيجل" المجلد الثاني "جدل الطبيعة " دار التنوير بيروت عام ١٩٨٥ ـ طبعة ثانية عام ١٩٩٣ (العدد ١٠ من سلسلة المكتبة الهيجلية) ـ طبعة ثالثة مكتبة مدبولي ١٩٩٦.

٩ ـ "دراسات في الفلسفة السياسية عند هيجل" طبعة أولى دار الثقافة بالقاهرة ـ طبعة ثانية دار التنوير بيروت عام ١٩٩٣ . مكتبة مدبولى عام ١٩٩٦.

١٠ ـ "كيركجور : رائد الوجودية" المجلد الثانى "فلسفته" طبعة أولى دار الثقافة بالقاهرة عام ١٩٨٦ ـ طبعة ثانية دار التنوير بيروت عام ١٩٩٣.

١١ ـ "أفلاطون .. والمرأة" طبعة أولى حوليات كلية الآداب جامعة الكويت عام ١٩٩٢ ـ طبعة ثانية مكتبة مدبولى ١٩٩٦ (سلسلة الفيلسوف والمرأة).

١٢ ـ "رحلة في فكر زكى نجيب محمود" مكتبة مدبولى ١٩٩٨.

١٣ ـ "الطاغية : دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسى" سلسلة عالم المعرفة فبراير عام ١٩٩٤. طبعة ثالثة مكتبة مدبولى عام ١٩٩٦.

١٤ ـ "معجم ديانات وأساطير العالم" (أربع مجلدات) مكتبة مدبولى بالقاهرة.

١٥ ـ " مدخل إلى الميتافيزيقا" مكتبة مدبولى عام ١٩٩٩.

١٦ ـ "توماس هوبز : فيلسوف العقلانية" مكتبة مدبولى عام ١٩٩٩.

ثانياً: بحوث ودراسات:

١ ـ "المقولات بين أرسطو وكانط وهيجل" .. دراسة بحوليات كلية التربية بجامعة الفتح بليبيا عام ١٩٧٦.

٢ ـ "مفهوم التهكم عند كيركجور" دراسة بحوليات كلية الآداب ـ جامعة الكويت عدد رقم ١٩ عام ١٩٨٣.

٣ ـ "الهيجلية" .. دراسة للموسوعة الفلسفية (المجلد الثانى) معهد الإنماء العربى بيروت.

٤ ـ "الهيجلية الجديدة" .. دراسة للموسوعة الفلسفية (المجلد الثانى) معهد الإنماء العربى بيروت.

٥ ـ "الفلسفة الثنائية عند زكى نجيب محمود" عالم الفكر بالكويت (مجلد عشرون) العدد الرابع يناير عام ١٩٩٠.

٦ ـ "مسيرة الديمقراطية : رؤية فلسفية" مجلة عالم الفكر بالكويت يناير عام ١٩٩٤.
٧ ـ "هيباشيا: فيلسوفة الإسكندرية" مجلة عالم الفكر بالكويت.
٨ ـ "زكى نجيب محمود فى جامعة الكويت" مجلة عالم الفكر بالكويت، يناير عام ١٩٩٩.

ثالثاً: الترجمة:

١ ـ "الجبر الذاتى" رسالة كتبها بالإنجليزية الدكتور زكى نجيب محمود ـ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر عام ١٩٧٢ ـ مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٨.
٢ ـ "العقل فى التاريخ" طبعة أولى دار الثقافة بالقاهرة عام ١٩٧٣ ـ طبعة ثانية دار التنوير بيروت عام ١٩٨٠ ـ وطبعة رابعة ١٩٩٣ (العدد الأول فى سلسلة المكتبة الهيجلية) طبعة ثالثة مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٩.
٣ ـ "روح الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط" اتين جلسون ـ دار الثقافة عام ١٩٧٢ ـ طبعة ثالثة مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٦.
٤ ـ "فلسفة هيجل" تأليف ولتر ستيس المجلد الأول "المنطق وفلسفة الطبيعة" دار التنوير عام ١٩٨٣ ـ وطبعة رابعة مكتبة مدبولى عام ١٩٩٦ (العدد الثالث من المكتبة الهيجلية).
٥ ـ "فلسفة هيجل" تأليف ولتر ستيس المجلد الثانى "فلسفة الروح" الطبعة الثالثة عام ١٩٨٣ ـ والرابعة عام ١٩٩٣ (العدد الرابع من المكتبة الهيجلية).
٦ ـ أصول فلسفة الحق" لهيجل المجلد الأول طبعة أولى دار الثقافة عام ١٩٨١ ـ طبعة ثانية دار التنوير بيروت عام ١٩٨٣ ـ طبعة رابعة مكتبة مدبولى عام ١٩٩٦ (العدد الخامس من المكتبة الهيجلية).
٧ ـ "موسوعة العلوم الفلسفية لهيجل" طبعة أولى عام ١٩٨٣ دار التنوير بيروت ـ طبعة ثانية عام ١٩٩٣ (العدد الثالث من سلسلة المكتبة الهيجلية) ـ مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٦.

٨ ـ "العالم الشرقى" المجلد الثانى من محاضرات فى فلسفة التاريخ لهيجل (العدد التاسع من سلسلة المكتبة الهيجلية) طبعة أولى عام ١٩٨٥ ـ طبعة ثانية عام ١٩٩٣ ـ مكتبة مدبولى عام ١٩٩٩.

٩ ـ "الوجودية" تأليف جون ماكورى سلسلة عالم المعرفة بالكويت عدد ٥٨ أكتوبر عام ١٩٨٢ ـ طبعة ثانية دار الثقافة بالقاهرة عام ١٩٨٧.

١٠ ـ "أصول فلسفة الحق لهيجل" المجلد الثانى دار التنوير بيروت عام ١٩٩٣ (سلسلة المكتبة الهيجلية) مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٦.

١١ ـ "هيجل .. والديمقراطية" تأليف ميشيل متياس ـ دار الحداثة بيروت عام ١٩٩٠ ـ مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٦.

١٢ ـ "المعتقدات الدينية بين الشعوب" تأليف جوفرى بارندر ـ سلسلة عالم المعرفة بالكويت عدد ١٧٣ مايو ١٩٩٣ ـ مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٦.

١٣ ـ "الدين والعقل الحديث" تأليف و. ستيس ـ مكتبة مدبولى عام ١٩٩٨.

١٤ ـ "التصوف .. والفلسفة" تأليف و. ستيس ـ مكتبة مدبولى عام ١٩٩٨.

١٥ ـ "جون ستيوارت مل" أسس اللبرالية السياسية (بالاشتراك) مكتبة مدبولى عام ١٩٩٦.

١٦ ـ " معنى الجمال "تأليف و. ستيس ـ المجلس الأعلى للثقافة ـ المشروع القومى للترجمة رقم ١٧٩.

١٧ ـ " حكايات ايسوب " ـ المجلس الأعلى للثقافة ـ المشروع القومى للترجمة رقم ١٧٣.

١٨ ـ " معجم مصطلحات هيجل " تأليف ميخائيل انوود ـ المجلس الأعلى للثقافة ـ المشروع القومى للترجمة رقم ١٨٦.

١٩ ـ " أفلاطون " تأليف: ديف روبنسون ـ المجلس الأعلى للثقافة ـ المشروع القومى للترجمة.

٢٠ ـ " ديكارت " تأليف: ديف روبنسون ـ المجلس الأعلى للثقافة ـ المشروع القومى للترجمة.

٢١ ـ " الفلسفة " تأليف: ديف روبنسون ـ المجلس الأعلى للثقافة ـ المشروع القومى للترجمة .

رابعاً: مراجعة:

١ ـ "الموت فى الفكر الغربى" تأليف جاك شورون ـ ترجمة كامل يوسف حسين (سلسلة عالم المعرفة بالكويت عدد ٧٦ أبريل عام ١٩٨٤).

٢ ـ "الفلاسفة الأغريق: من طاليس إلى أرسطو" تأليف و. جوترى ـ ترجمة رأفت حليم سيف ـ دار الطليعة بالكويت عام ١٩٨٥ .

٣ ـ "الفلسفات الشرقية" تأليف جون كولر ـ ترجمة يوسف حسين (سلسلة عالم المعرفة بالكويت).

خامساً: التأليف بالاشتراك:

١ ـ "المنطق ومناهج البحث العلمى" للصف الثالث الثانوى ـ بتكليف من وزارة التربية والتعليم بالجمهورية العربية الليبية عام ١٩٧٧ .

٢ ـ "دراسات فلسفية" للمستوى الرفيع ـ بتكليف من وزارة التربية والتعليم بجمهورية مصر العربية عام ١٩٩٢ .

٣ ـ "مبادئ التفكير الفلسفى" للثانوية العامة ـ بتكليف من وزارة التربية والتعليم بدولة الكويت عام ١٩٩٨ .



المحتويـــات

المجلس الأعلى للثقافة

المشروع القومي للترجمة

Introducing... philosophy

Dave Robinson & Judy Groves

أقدم لك ... هذه السلسلة !

إذا كانت الشكوى عامة من غموض الفلسفة والتباس أفكارها ومشكلاتها على ذهن القارئ العادى غير المدرب، فإن هذه السلسلة تحاول أن تتغلب على هذه الصعوبة، وأن تقوم بدور فعال عن طريق الصور، والرسوم، والأشكال التوضيحية التى تعبر عن الفكرة الفلسفية دون إخلال بمضمونها أو عمقها – إستنادا إلى قاعدة هامة في علم النفس تقول : " إن أغلب الناس بصريون ..." .

لكن السلسلة لاتكتفي بذلك بل يربط المؤلفان فكر الفيلسوف بما قبله من مذاهب فلسفية حتى يظهر في سياقها التاريخي .. كما يتحدثا عن أثره في الفكر الفلسفي اللاحق.

ولا يفوتهما بعد ذلك من توجيه النقد إلى مواطن الضعف وإبراز المفارقات والصعوبات التى تواجه ما يوضحان له من أفكار مما يقدم لك قيمة منهجية هامة هى أنه لا يوجد مفكر أو فيلسوف فوق النقد ..

وذلك كله يجعل قراءة الكتاب – حتى بالنسبة للقارئ المتخصص متعة لا تقدر...



الفلسفة